

القسم الثاني

نماذج لحواشي التلمود التفسيرية على التوراه

الفصل الأول

الخلاص من أرض مصر

«فهرب مُوشيه من وجه فرعوه ومكث بأرض مدين وقعد عند البئر»⁽¹⁾.
ויברח משה מפני פרעה וישב בארץ מדין וישב על-הבאר.

إن ثلاثاً من شخصيات التوراه البارزين قد قابلوا زوجاتهم للمرة الأولى عند
آبار ماء ، وهم تحديداً : يصحاق ، يعقوب ، مُوشيه .

ففيما يخصّ يصحاق نجد : «وكان يصحاق راجعاً من طريق بئر الحّي
الرّأي» באר לחי ראי (سفر التكوين - 24 : 62) . بالإضافة إلى ذلك كان
إلعيذر رسول أبيه قابل ريقاه عند البئر . أما يعقوب فأيضاً عند بئر قابل راحيل ،
وقابل مُوشيه بنات يثرو عندما ورَدن لسقاية ماشية أبيهنّ .

فطالما أن الرّب يمقّت الوثنيّة ، كيف بمُوشيه يقصد بيت رجل وثني (يثرو) ؟
يقول الحاخامون إن يثرو كان قد أدرك ضلال سُبّله ، فاستغى من منصبه
ككاهن لأوثان مدين من قبل أن يأتيه مُوشيه . ومن أجل ذلك تَبّذه الناس هو
وأهل بيته ، وقطعوا كل علاقاتهم بهم ، ولذلك السبب أحجم الرّعاة عن العمل
لديه ، فاضطرت بناته لسقاية ماشيته ورعايتها .

(1) سفر الخروج - 2 : 15 .

يقول داود⁽¹⁾ النبي في مزاميره : «عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بني آدم» .

ويقول الرّأيي يناي : «رغم أن ملكوته في السّماء ، فإن عينيه ناظرتان إلى الأرض . تماماً كالملك الذي بنى برجاً عالياً في بستانه وأقام فيه ، وقال لعمّاله : «عليكم بالعناية ببستاني على أحسن وجه ، فلتكن الممرّات نظيفة ولتنل الأشجار عناية لاثقة بحيث تطرح ثماراً طيِّبة . فمَنْ كان منكم مخلصاً في عمله نال مكافأة مُجزية ، ومَنْ أهمل أوامري سيلقى العقاب الذي يستحقّه وفاقاً!» . فهذا العالم الواسع والفسيح ما هو إلا بستان ملك الملوك ، الذي أوكل به الإنسان لاتباع أوامره وشرائعه ، وللحفاظ على مُتعة الطاعة . فمَنْ كان مخلصاً نال الثواب ، أمّا مَنْ أهمل الثّقمة الموكلة إليه فيلاقي ما يوافق أفعاله . ولذلك قال داود النبي : «عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بني آدم» (المزامير 11 : 4)» .

الله يبحث عن الصّالحين ، كيف ؟ عن طريق الحكم على الكيفيّة التي يعاملون بها الرعيّة الموكلة إليهم .

لقد جرّب الله داود بن يشاي (النبي) وفق هذه الطريقة . فداود قدّم للحملان عُشباً طرياً تغتذيه ، وللخراف الهرمة حشائش غضةً وعُشباً طرياً ، أما الخراف الفتية القادرة على المضغ فأعطاهما العشب الذّابل ، فخصّ كلّاً منها بحسب حاجتها وطاقتها . ولهذا قال الرّب : «إن داود القدير على القيام بأوّد القطعان الموكلة إليه بعناية لهو جدير برعاية قطيعي ، أي شعب إسرائيل» . تماماً كما هو مكتوب⁽²⁾ : «من بعد المُرضعات ، أتى به ليرعى يعقوب شعبه» .

وكذلك أيضاً جرّب الرّب مُوشيه . فأتى غدوّه بماشية حميه في البرية شرد حمّل عن القطيع وعدا مُبتعداً . فما كان من الراعي الرّحيم إلا أن تبعه ، ووجده يروي ظمأه من نبع على طرف الطريق . قال مُوشيه : «يا للحمل المسكين ، ما كنتُ أعلم أنك ظامئ» ، فلماً فرغ الحَمَل من الشّرب حمّله برفق بين ذراعيه وردّه

(1) اسمه في العبرية : 717 (ولفظه : داويد) ، والملاحظ أنه يرد كذلك بدقّة في رسم القرآن الكريم بواو واحدة (كما في رسمه الأصلي بالعبرية بحرف 7) . وسبق أن ذكرنا أن هذا لاعتبار القيمة العددية للأسماء وفق ما يُعرف بـ«علم الحرف» .

(2) مزامير داود - 78 : 71 .

إلى القطيع . فقال الله : «يا مُوشيه الرَّحيم ، إن كان حبك ورعايتك بهذا القدر لحيوان أعجم ، فكم سيكون أعظم تجاه بني جنسك ! لذا فإنك ستفقد شعبك بني يسرائيل !» .

لماذا تجلّى الربّ لمُوشيه في العليقة ؟ هذا لأن العليقة وضیعة بين الأشجار ، وكذلك كان بنو يسرائيل وضيعين بين أمم الأرض . وكما أن الورد ، أجمل الأزاهير ، ينمو بين الأشواك ، فإن من ضمن بني يسرائيل هناك الصّالح والطّالح يدخلان معاً تحت العدّ . ومن يدسّ يده في دغلة الأشواك قد يتمكّن من فعل ذلك دون أن يتأذى ، ولكنه لا يستطيع أن يمدّها ثانية دون أن يجرحها العليق . فهكذا كان شأن بني يسرائيل . فلما دخل يعقوب مصر تمّ ذلك بسلام ودون أن يلحظه أحد أو يزعجه ، ولكن لما خرج بنوه من البلد ، جرى ذلك بعلامات ومُعجزات وحرب . ولشلا يخطر في بال مُوشيه أن قسوة المصريين قد كسرت شوكة بني يسرائيل نهائياً ، تجلّى الله له في شجرة عليق مشتعلة وهي لا تحترق ، لكي يمثّل له وضع بني يسرائيل ومستقبلهم ، التّام والفائق ، برغم نار الظلم .

«فقال الربّ إنني قد رأيتُ ناظراً إلى مدّة شعبي الذين بمصر»⁽¹⁾ .

عندما صرف أبرهّام هاجار ، ولما بكى ولدها صارخاً إليها في طلب الماء بالبرية ، ضرّعت إلى السّماء قائلة : «أيها الأب الرَّحيم ، لقد وعدتني قائلاً : «سأضاعف نسلك» ، والآن ها هو ابني سيموت من الظم» .

وعند ذلك أجابها الملاك : «ما لك يا هاجار ؟» ، إلخ .

فبحسب رأي الرّابي شمعون ، راحت الملائكة تحتجّ على العون المبذول ليشمّعل ، قائلةً لله : «إن لقي منك العون اليوم فسوف يبادر بأذية شعبك بني يسرائيل في مُستقبل الأيام» . فقال الله : «كيف كان سلوكه اليوم ؟» ، ولما أجابت الملائكة : «كان صالحاً قوياً» ، أضاف الله : «فهو إذاً يُدان اليوم بحسب ما ييدر عنه اليوم» .

(1) سفر الخروج - 3 : 7 ، والترجمتان العريبتان عن السبعينية اليونانية غير دقيقتين ، على اعتبار عدم رجوعهما إلى النصّ العبري .

وهكذا كان الأمر مع اليسريين في مصر . فقد عرف الرب ماذا سيصدر عنهم من أفعال في المستقبل ، فقال : «إني قد رأيتُ ناظراً» **ראה ראיתי** ، لا مجرد «إني رأيتُ» ، بل «رأيتُ ناظراً» ، بمعنى يفيد أكثر من مجرد النظر المحدود أو الملاحظة السريعة .

وقال الرب لمُوشيه : «أنت ترى أمراً واحداً ، أما أنا فأرى اثنين . فأنت تدري أن بني إسرائيل سيتلقون الوصايا العشر عند جبل سيناء ، أما أنا فأعلم سلفاً بما سيقع بعد ذلك ، أي بضلالهم وصنعهم للعجل المسبوك . ولكنني برغم ذلك لست أدبتهم إلا بحسب سلوكهم الحالي . لقد سمعتُ صراخهم ، ورغم أنني أعلم أنهم سيتقولون عليّ بغير حق في البرية ، فلسوف أستقدهم . لقد وعدتُ جدّهم يعقوب قائلاً : «إني لرادكُ صعوداً» ، فالآن أردُ أبنائي صعوداً كما وعدتُهم ، وأجوزُ بهم إلى الأرض التي أعطيتها لأبائهم . لقد أتاني صراخهم وها هي ذي أيام عبوديتهم قد انتهت . لذا فامضِ . . . وأخرج شعبي ، بني إسرائيل ، من مصر . إنك أنت المكلف بردهم» .

فأجاب مُوشيه : «لما هبط يعقوب إلى مصر ، ألم تقل له : «سأهبط معك إلى مصر ، وأنا بنفسى أردكُ صعوداً كرتة ثانية؟» ، والآن تقول : «إمض أنت» . فكيف لي أن آتي بهم صعوداً؟ وكيف أحميمهم من قيظ الصيف وقر الشتاء؟ ثم كيف لي أن أعيل جيشاً من ست مئة ألف إنسان ، بكثير من النساء والأطفال ، ومنهم من هو عاجز ومُقعّد ، يلزمه رعاية فائقة وغذاء خاص؟» .

أجاب الرب : «الخبز غير المخمر الذي يحملونه معهم يكفيهم طوال الثلاثين يوماً» .

ثم قال مُوشيه : «فإن قالوا لي : «ما اسمه؟» ، بم أجيبهم؟» .

فأجاب الرب : «لي أسماء عديدة . فاسمي «الله الجبار» **אלהים יב** إيل شدائي) ، و «إله الجيوش» **אלהים לבאות** أدوناي صبّوت) . فعندما أعاقب ذوي الضلال أدعى «إله الجيوش» ، وعندما أوبخ المذنبين أدعى «الله الجبار» . وعندما أنزل الرحمة على شعبي أدعى «الأزلي» **(יהוה יهوه)** .

ثم قال الله لمُوسِيه : «أنا هو الكائن ، وهذا اسمي إلى الأبد» .
وعنى الله بذلك : «الكائن معهم في عبوديتهم ، والكائن معهم في أسرهم
المقبل» .

ثم قال مُوسِيه : «لماذا عليّ أن أنبئهم بأسرهم المقبل ، طالما أنهم يعانون
السّاعة ريقة العبودية ؟» .

فأجاب الله : «أحسنّت القول ، لا تقل لهم عن مآسِيهم المقبلة» .
«فأجاب مُوسِيه وقال : «إنهم لا يصدّقونني»»⁽¹⁾ .

لقد أخطأ مُوسِيه بجوابه هذا ، لأن الله قد قال سلفاً : «لصوتك يُصغون» .
لذا قال الله : «ما تلك التي بيدك ؟» . وهذا كان توبيخاً ، بمعنى أنه بالعصا
التي كانت بيده يستحق أن يُجازى على تشكّكه .

ولماذا صارت عصا مُوسِيه حيّة ؟ لأنه تقوّل باطلاً في حق الرّب ، تماماً كما
فعلت الحيّة في جنة عدن ١٦٧٦٦ .

قال شيخ عشيرة وثني للرّابي يوساه : «ألّهي أقوى وأعزّ سلطاناً من
ألّهتك» . فسأله الحاخام : «وكيف يكون ذلك ؟» . أجاب الوثني : «ذلك لأنه
لما تجلّى إلهك في العليقة ستر مُوسِيه وجهه ، أمّا حينما أبصر الحيّة ، وهي إلهي ،
هرب من وجهها» .

فأجاب الرّابي يوساه : «عندما يتجلّى إلهنا ليس بمقدورنا الهرب منه ، فهو
كائن في السّماء وفي الأرض ، في البحر وفي البرّ ، أمّا إن هرب أحداً من الحيّة
إلهك فبضعة خطوات يسيرة تُنجيه» .

وما هو مدلول الحيّة فيما يخصّ رجوع بني يسرائيل ؟ إن لقرعوه وجه شبه
بالحيّة ، كما هو مكتوب : «الحيّة المتحوّية» . فتماماً كلدغة الحيّة كانت عبودية
قرعوه لبني يسرائيل .

(1) سفر الخروج - 4 : 1 : ويعن مשה ويامر והן לא-יאמינו לי .

قال الربّ لمُوشيه : «إن قرعوه الآن مثله مثل حيّة ، بوسعك أن تُرديه بعصاك ، فيكون عاجزاً كخشبة . ومثلما تكون العصا عاجزة عن الأذى بغير معونة الإنسان وقوته المحركة ، فهكذا يكون قرعوه عاجزاً عن الإيذاء» . ولذلك فقد قال : «مُدّ يدك وأمسك بذنباها» .

ولماذا أمر مُوشيه بدسّ يده في جيبه عندما جعلت بيضاء من البرص ؟ ذاك لأن البُهتان والباطل يشيعان بالعادة في الخفاء ، كما هو حال الجيب المخبوء .

وكيف أن هذا التحوّل إلى البرص يمثّل إعتاق بني إسرائيل ؟ كما هو الأبرص (المجذوم) يدنّس الإنسان النقيّ السليم ، فإن اضطهاد المصريين دنّس السريثيين ، وكما أن اليد البرصاء عادت سليمة ، فإن الله قدّر تطهير شعبه .

وفي المعجزتين الأوليين اللتين أظهرهما الربّ لمُوشيه ، عاد الشيطان إلى سيرتهما الأولى ، إنّما في الثالثة ، وهي استحالة الماء إلى دم ، لم يعد الوضع إلى سابق عهده . وبذلك كان الله يُنذر بأن ذنب مُوشيه الذي اقترفه في «مرياه» سوف لن يُغفر له .

وفي كل مرة يُذكر فيها موت مُوشيه في الكتاب المقدّس ، يُذكر أيضاً سبب موته قبل دخوله الأرض المقدّسة ، وهو معصيته في مرياه⁽¹⁾ . فما دعوى ذلك ؟

ذات يوم قام أهل الحكم بمعاقبة رجلين ، كان أحدهما اقترف جريمة بينما لم يرتكب الآخر سوى جناية بسيطة . فطلب الأخير أن يتمّ الإفصاح علناً عن سبب عقوبته ، لئلا يختلط على الناس أمر جنحته البسيطة مع الجريمة الأفدح منها . فهكذا كان شأن مُوشيه . . قدّر الله له أن يموت في البرية ، كما قدّر أيضاً أن يهلك ذلك الجيل بأجمعه (ما خلا يهوشوع وكاليب) . ولذلك ، لئلا يُصنّف مُوشيه معهم كعاصٍ في وجه الربّ ، تمّ ذكر سبب عقوبته مُرتبطاً بمماته .

(1) سفر الخروج - 17 : 7 . ومعصيته أنه صرخ إلى الربّ لما خاصمه الشعب وطلبوا ماءً للشرب . ولذلك يرد في التوراه : «وسمي ذلك الموضع الامتحان والخصام» ، وفي النصّ العبري : «ויקרא שם המקום מטה ומריבה ، و«مرياه» : الخصام .

«فقال مُوشيه للربّ : «رُحماك ياربّ ، إنني لستُ أحسن الكلام»»⁽¹⁾ .
ויאמר משה אל־יהוה בי אדני לא איש דברים אנכי :

وكرر الربّ أمره لمُوشيه لمدة سبعة أيام ، لكن مُوشيه بقي متردداً في الإجابة وقال : «إنني لستُ أحسن الكلام اليوم» (فهذا يوم) ، «أمس» (يومان) ، «لا» (ثلاثة أيام) ، «ما قبل» (أربعة) ، «ولا» (خمسة) ، «ولا مُد» (سته) ، «خاطبت» (فهذه سبعة أيام) .

فقال الربّ : «لا تخشَ شيئاً ، حتى لو لم تكن تُحسن الكلام ، أقمّن إليّ خلق كل الأفواه التي تُحسن الكلام ؟ أليس بمشييتي أن أحولَ مَنْ يحسنون الكلام إلى بُلهاء ، وأطلق بالفصاحة السنة البُلهاء ؟ فمشييتي تقضي أن تكون أنت مَنْ يُخاطب قَرعوه» .

فأجاب مُوشيه قائلاً : «هؤلاء مَنْ تريد رَدّهم أحفاد أبرهّام ، فمّن أدنى إلى المرء ، ابن أخيه أم ابن ابنه ؟ فلنُصرة لوط ، ابن أخيه ، أرسلت ملائكةً ، والآن لنُصرة أبنائه ، الذين يعدّون ست مئة ألف ما خلا النساء والولدان ، ترسلني أنا . لأجل هاجار أرسلت خمسة ملائكة عندما هربت من وجه سيّدها ساراه ، أمّا إلى ستين ألفاً من أبناء ساراه فلا تُرسل سواي ؟» .

يُخبرنا الرّبانيون أن مُوشيه لم يكن محجماً عن القبول بهذه المهمّة بدافع الخوف أو الارتباك من مشقّتها ، أو بدعوى معصية الله ، بل لأنه كان يعتقد أنها بالأحرى من حق أخيه الأكبر أهرون . غير أن الله غضب من مُوشيه ، ولذلك منح حق الكهانة الدّينية التي كان يخصّه بها إلى أهرون ، قائلاً : «أليس أخوك أهرون اللّيوبي ؟»⁽²⁾ : הלא אהרן אחיך הלוי . .

فعندما قال الله : «أخوك אחיך» ، كانت عبارة «اللّيوبي הלוי» مُقحمة ، لأنه طالما كان مُوشيه ليوياً ، فإن أهرون مثله بالضرورة أيضاً ، لكن مقصد الله من وراء ذلك هو ما يلي :

(1) سفر الخروج - 4 : 10 .

(2) يلاحظ هنا أيضاً خلل في الترجمة العربية للتوراه عن السبعينية اليونانية .

«كان في نيتي أن أجعلك أنتَ كاهني ، وأن يبقى أخوك على مرتبته ليويًا ، ولكن بسبب إحجامك عن تنفيذ مشييتي سيكون هو الكاهن وأنت اللّوي.» .

«وقال الربّ لأهرون : «امضِ للقاء مُوشيه»»⁽¹⁾ ويأمر «יהוה אל-אהרן לך לקראת משה .

وعبارة «مَن لي بكَ كأخ لي ؟» «מי יתנד כאח לי ، هي إحدى التعابير الجميلة في أشودة شلومو (الملك سليمان)⁽²⁾ .

لكن أي أخ هو هذا ؟ ليس كما كان قَيْن لأخيه هَبِل ، فقد «قام قَيْن إلى أخيه هَبِل وقتله» . وليس كما كان يشمَعيل ليصحاق ، لأن يشمَعيل كان يكره يصحاق ، وليس كعيسو ، لأن «عيسو كان يكره يعقوب» . وليس أيضاً كإخوة يوسف ، لأنهم «لم يستطيعوا أن يكلموه بسلام» . وإنما هو أخ كاهرون مُوشيه ، كما هو مكتوب : «فمضى (أهرون) ولقيه (مُوشيه) في جبل الله وقبله» (سفر الخروج - 4 : 27) .

«فمضى مُوشيه وأهرون»⁽³⁾ «ولך משה ואהרן .

فأين كان الشيوخ ؟ نجد ذلك مكتوباً في التّوراه : «فأنت وشيوخ بني إسرائيل تأتون» . لقد مضى الشيوخ ، لكنهم جعلوا ينكصون شيئاً فشيئاً ، بداعي الفزع ، لذلك فبعد هذا تصبح العبارة المكتوبة ببساطة : «فمضى مُوشيه وأهرون» .

* * *

(1) سفر الخروج - 4 : 27 .

(2) انظر نشيد الأناشيد - 8 : 1 . وهذا السّفر «شير هَشِيريم» من أصغر أسفار «الكتويم» ، يتألف من 8 فصول مطلعها : «نشيد الأناشيد لشلومو» שיר השירים אשר לשלמה وتحمل معاني رمزية دينية على شكل قصائد تنشّد الحبّ بين بني البشر والإله . وهي من الناحية الأدبية إحدى أجمل مقاطع كتاب اليهود المقدّس (تَنخ) .

(3) سفر الخروج - 4 : 29 .

«كذا قال الله الأزلي»⁽¹⁾، إلخ כה אמר יהוה . .

برأي الرأبي حيًا ، أنه جرى في ذلك الحين أن الملوك المجاورين جميعهم كانوا يتوافدون على قرعوه لأداء فروض الطاعة له وتقديم العطايا ، وكان كل حاكم منهم يصطحب معه آلهته . وفيما كان موشيه وأهرون واقفين قرب بوابات القصر ، ظنهما الحراس من بعض الوافدين لتقديم الولاء ، فأدخلوهما . فلما نظر إليهما قرعوه ورأهما غريبين تصور أنهما إنما قصدها ببعض العطايا ، وتعجب لِمَ لم يؤديا له التحية كالآخرين . فتكلم قائلاً : «ماذا تبغيان؟» . فأجابا : «كذا قال الرب : «أطلق شعبي»» ، إلخ .

فقال قرعوه بإباء وسخط : «من هو هذا الرب فأطيعه ، وأسمع لقوله فأطلق يسرئيل ؟ إنه لم يقدم لي عطية ولا تجلّى لي . لا أعرفه ولا أطلق يسرئيل» . وتابع قائلاً : «ها أنا ذا سأرجع إلى سجلاتي المحفوظة وأنظر إن كان فيها اسم إلهكم . ها هنا أجد أسماء الآلهة كلها ، آلهة آمون وآلهة مؤاب وآلهة زدين ، أما اسم إلهكم فلست أجده» .

فأجاب موشيه : «إلهنا إله حي» .

فقال له قرعوه : «أفتي هو أم عجوز ؟ كم يبلغ عمره ؟ وكم مدينة يحتل ؟ وكم بلد أغزا ؟ وكم من الزمن مضى لحكمه ؟» .

فقال موشيه : إن جبروته⁽²⁾ تملأ الكون . وهو أزلي قديم كائن قبل أن تبصر هذا الدنيا التور ، وسيبقى على الدوام بعد زوال هذه الدنيا . وهو من أنشأك وخلقك ، ومن نسمة روحه تتنفس وتحيا» .

فتابع قرعوه مُساءلته : «وماذا لإلهكما من مآثر؟» . فأجابه رسولا الله : «صوت الله يمزق شجر الأرز ، إنه هو من مد السموات ، وبسط الأرض مهاداً ، وأرسى الجبال وحطم الصخر إلى حجارة . قوسه من نار ونباله من شرر . هو من

(1) سفر الخروج - 5 : 1 .

(2) مصدر «الجبروت» في العبرية يرد بصيغة : גבורה جيوراه ، بمعنى : بأس ، جراءة . أما صيغة גבורות جبروت فهي تعني : رجولة ، من الآرامية גבורا جبراحا .

أرسي الجبال والتلال ، وأخرج المرعى ، فأثبت به فاكهةً وعُشباً . إنه من ينزع الملك
مَن يشاء ويُعزَمَن يشاء» .

فكان ردَّ قرعوه : «قد أتيتُماني بالزُّور والباطل ، تقولان إن إلهكما هورب
الكون . . فلتعلما أن مصرَ مُلكُ يميني ، وأني خالق نهر النيل العظيم الذي يجري
في أرجائها» (قارن ذلك بما في سفر يُحزَقُثيل : «نهر ي هولي وأنا صنعتُه لنفسي» ،
لي «أري وأني لا شي تني ، يُحزَقُثيل - 29 : 3) .

فانبرى قرعوه إلى سحرته سائلاً : «أسمعتُم بإلهما؟» . فقال السَّحرة :
«نعم ، سمعنا به ، إنه ابن الحكماء ، ابن ملكٍ قديم من سالف الأيام» .
قال مُوشيه : «أنتَ تسأل الآن : «مَن هو الرَّبُّ» ، ويأتيك زمان تقول فيه :
«إن الله حقٌّ» . تقول الآن : «أنا لا أعرف إلهكم» ، ويأتيك زمان تقول فيه : «ربُّ
إني كنتُ في حقك من الظالمين» .» .

* * *

«وصادفوا مُوشيه وأهرون . . . وجعلتُما في أيديهم سيفاً ليقتلونا»⁽¹⁾ .
ויפגעו אותם משה ואהרן ... לתת-חרב בידם להרגנו .

قال بنو يسرَّئيل المُتهكون لمُوشيه وأهرون : «أجل ، إننا كالحمل الذي
اختطفه الذئب من القطيع ، فراح الرَّاعي يجاهد لفكاكه ، وكان مصيره التمزق
بين الاثنين ، وها نحن أولاء ما بينكما أنتما وقرعوه سنلقى حتفنا» .

«فرجع مُوشيه إلى الرَّبِّ وقال : «يا ربِّ لماذا ابتليت هؤلاء الشعب؟»⁽²⁾ .
וישב משה אליהוה ויאמר אדני למה הרעתה לעם הזה .

كان الرَّبُّ مُسبقاً قد حذَّر مُوشيه بأنه سيقسِّي قلب قرعوه ، فيرفض السَّماع
لبنو يسرَّئيل بالخروج . ولذلك أجابه الله الآن : «الآن ترى ما أصنع بقرعوه ،
لكنك لا ترى ما أصنع بمالك كنعان الثلاث» .

(1) سفر الخروج - 5 : 20-21 .

(2) سفر الخروج - 5 : 22 .

«وتجلبت لأبرهَام»⁽¹⁾ إلخ ، وَاَرَأَىٰ آلَآبْرَاهِيمَ .

قال الرَّبُّ مُوسَىٰه : «واهاً ثم واهاً على فناء الصّالحين ، واحسرتاه على الأخيَار من السّكف الصّالح . لقد تجلبت لأبرهَام وليصْحاق وليعقوب بصفتي «الله الجبّار» (אל־שׁדַי) إيل شَدّاي) ، وليس باسمي «الأزلي» («יהוה يَهُوَاه) كما تجلبتُ لك ، ومع ذلك لم يتذمروا إزاء أوامري أو أفعالي . وقلت لأبرهَام : «قم فامش في الأرض بطولها وعرضها ، فإني لك أعطيها» ، ولما ماتت امرأته لم يكن يبغي سوى قبر لها فاضطرّ لشرائه بماله ، ومع ذلك لم يتذمّر في وجهي أو يُبدِ آية شكوى قائلاً : «قد وعدت أن تعطيني هذه الأرض كلّها ، فها أنا ذا الآن علي أن أبحث عن رقعة صغيرة منها لأشترها» . كما قلت لِيصْحاق : «أقم في هذه الأرض ، لأنني لك ولذريتك أعطي هذه البلاد كلّها» ، فلما احتاج إلى بعض الماء لم يحصل عليه ، حيث أن رعاة جرار اشتجروا مع رُعاته لمنعهم من حفر بئر . ومع ذلك لم يرفع يصْحاق صوته في وجهي . وقلت ليعقوب : «الأرض التي تمكث عليها أعطيها لك» ، فلما أراد أن يضرب فيها قباه اضطر أن يدفع مئة قَسِيْطاه⁽²⁾ קשׁיטָה ، غير أنه لم يتذمّر في وجه الرَّبِّ ، أو حتى أن يسألني عن اسمي ، كما فعلت أنت» .

«فكلّم الرَّبُّ مُوسَىٰه وأهْرُون ، وأوصاهما في بني يِسْرَائِيل وقرعوه ملك مصر»⁽³⁾ . . . وידבר יהוה אל־משה ואל־אהרן ויצום אל־בני ישראל ואל־פרעה מלך מצרים .

كان لأحد الملوك بستان حَسَن وبهيّ جعل فيه غراساً من شجر ، كان بعضها مثمراً والآخر غير ذي ثمر . فقال له خدمه : «ما فائدة غرس الأشجار غير المثمرة؟» ، فأجابهم : «الأشجار المثمرة وغير المثمرة نافعة على حدّ سواء ، فمَن لنا بالخشب لبيتنا ولقواربنا ولأدواتنا إن لم تكن لدينا هذه الأشجار الصلبة التي لا تطرح ثمرأ؟» .

(1) سفر الخروج - 6 : 13 .

(2) القسِيْطاه (أو القشِيْطاه) عملة قديمة تساوي ربع شِيقِل . انظر سفر التكوين - 33 : 19 .

(3) سفر الخروج - 6 : 13 .

فكما أن الصّالحين يمجّدون الرّب بنعمائهم ، فالأشرار أيضاً يمجّدون الرّب عندما يقرّون بقولهم : «قد نلنا جزاءنا وفاقاً بما جنّنت أيدينا» .

ولما أبدى أهرون الآيات بعصاه ، ضحك منه قرعوه واستخفّ به قائلاً : «من عادة التجّار أن يحملوا بضاعتهم إلى حيث تكون مرغوبة ، فكيف تأتينا بمثل هذه المخاريق إلى مصر التي تعجّ بالسّحر والسّحرة؟» ، وأرسل في طلب بعض الصّبية ، فحوّلوا عصيّهم إلى ثعابين (تد"ם) .

«فابتلعت عصا أهرون عصيّهم»⁽¹⁾ ، «יבלע מטת־אהרן את־מטתם» .

لكن ابتلاع العصي لم يكن الآية الوحيدة ، بل إن عدم كبر حجم عصا أهرون منذ ذلك الحين قد أضاف إلى قيمة الآية .

* * *

(1) سفر الخروج - 7 : 12 .

الفصل الثاني الآفات العشر

«كذا قال الرب ، بهذا تعلم أنني أنا الرب . ها أنا ضاربٌ . . . ماء النهر ، فأقلبه دماً»⁽¹⁾ :

כה אמר יהוה בזאת תדע כי אני יהוה הנה אנכי מכה ...
על-המים אשר ביאר ונהפכו לדם .

عندما يخطئ إنسان ليؤذي شخصاً أو أن ينتقم من عدو ، فهو يهاجمه بغتةً بغير إنذار . أما الله فليست هذه فعالة ، بل أنذر فرعوه بجميع الآفات التي أنزلها على مصر ، كي يتيح له فرصة ليتوب . فلماذا ضربت المياه أولاً ؟ لأن المصريين كانوا يعبدون نهر النيل ، وكان الرب قال : «أضربُ الإله أولاً ثم شعبه» ، وينطبق على ذلك المثل القائل : «أضرب الآلهة أولاً ، فيرتعد الكهنة» .

الدم

لماذا جازى الرب المصريين بأفة الدم ؟ لأنهم سفكوا دماء الأطفال الأبرياء ، ولذلك تحوّلت مياه أنهارهم إلى دم .

«ثم قال الرب لمُوشيه : «قُلْ لأهْرُون : «خُذْ عصاك ومُدِّ يدك على مياه مصر»⁽²⁾ ، كח מטך ונטה ידך על-מימי מצרים .

(1) سفر الخروج - 7 : 17 .

(2) سفر الخروج - 7 : 19 ، وفي الترجمتين العربيتين : «على مياه المصريين» ، ظن الترجمة أن عبارة מצרים (مصر) بصيغة الجمع إنما تعني : المصريين ، بينما هي تسمية «مصر» الشائعة بالعبرية (جمع מצار الآرامية : الحدود والتخوم) حتى اليوم . وثمة مَنْ يرى أن العبارة تعني المجرى (مجرى النيل المتعرج) ، ومثلها : المصران (الأمعاء) .

فلماذا لم يكن في وسع مُوشيه أن يضرب الثَّهر ؟ ذلك لأن المياه حَمَّتَه
وحرَّستَه عندما كان طفلاً عاجزاً يهجع في الصَّنْدوق المصنوع من البَردي ، وترشدنا
تعاليم الحاخامين إلى أن «البثر التي تستقي منها ماءك لا تقذف فيها الأحجار» .

الضفادع

قد نميل إلى الاعتقاد أن الضفدع حيوان تافه ، لا شأن له في تقويم الكون .
وهذا غلط ، فلكل كائن حي من وجوده غاية . والضفادع أضحت أداة لمعاقبة
فِرْعَوه ، فرغم أن نهر النيل يفيض عادةً بالضفادع ، لم تكن تبتعد عن ضفتيه . ثم
قال الله : «أنتَ تقول : «الثَّهر هولِي» ، فالآن أريك أن حتى بيتك ليس لك ،
فسوف تجوس به الضفادع ، وتبلغ حتى المعجن وتمكث في عجيتك وتأكله» .

وسببت الضفادع للمصريين رهقاً أشدَّ من مجرد الخسائر المادية التي أوقعتها ،
من جرّاء أصواتها المزعجة ، ولذلك ورد في التَّوراه : «فصرخ مُوشيه إلى الرَّبِّ في
أمر الضفادع»⁽¹⁾ ، «יצלוק משה אל־יהוה על־דבר הצפרדעים» .

القمل

«قُلْ لأهْرُونَ ... واضرب تُرابُ الأرض»⁽²⁾ ، «אמר אל־אהרן ... והד
אנדלפר הארץ» .

فلماذا لم يضرب مُوشيه بنفسه تُراب الأرض ؟

لأن مُوشيه وارى في التراب جثَّة المصري الذي ألفاه يضرب رجلاً عبرياً ،
فأخفى التراب فعلته . لذلك فإن الآتين المتعلقتين بالماء والتراب تمَّ إنزالهما على يد
أهْرُونَ .

(1) سفر الخروج - 8 : 8 . وهذا التقسيم في التَّوراه المسوراتية بالأصل ، أما في الترجمة
السبعينية (وعنها الترجمات العربية) فترد في 8 : 12 ، بسبب إلحاق 5 آيات من الأصحاح
الثامن بالأصحاح السابع فيها .

(2) سفر الخروج - 8 : 12 ، وفي الترجمتين الكاثوليكية والإنجيلية : 8 : 16 .

ولماذا تمّ تسليط هذه الآفة على المصريين ؟

هذا لأنهم أكرهوا اليسرّيليين على كنس الطرقات وعلى العمل في الآجرّ والملاط . ولذلك انقلب تُراب الأرض إلى قَمَل⁽¹⁾ . وكان السّحرة غير قادرين على ابتداع القَمَل ، لأنهم كانوا يعجزون عن تشبيه الأشياء التي تصغر حجماً عن حبة الشعير ، فلماذا قالوا : «هو إصبع الله»⁽²⁾ אצבلا אלהים הוא .

أسراب الوحوش

«بكر في الغداة» ، إلخ⁽³⁾ ، השכם בבקר .

قال الله لمُوشيه : «هذا الرّجل يصيرّ على معصيته ، برغم الآفات التي قد أنزلتها عليه . لذلك فقلّ له إن الآفة الآتية ستكون أدهى من الأخريات كلّها مجتمعة ، وقُل له أطلق بني يسرّيل» .

تجمهرت أسراب الوحوش⁽⁴⁾ في البداية على بيت قرعوه ، لأنه كان أول مَنْ ظلم يسرّيل ، ثم على بيوت خدمه ، لأنهم احتذوا مثاله .

لماذا سلّطت هذه الوحوش على المصريين ؟ هذا لأنهم كانوا يلجؤون اليسرّيليين إلى المخاطرة بأرواحهم في صيد الوحوش المفترسة .

ونرى أنه فيما ماتت الضفادع بأرض مصر ، كان شأن الوحوش أنها رُفعت عن القوم ، فما هو وجه هذا الاختلاف ؟ هذا لأن الضفادع لا قيمة لها ، أما الوحوش فيمكن للمصريين أن ينتفعوا من فرائها .

(1) انظر سفر الخروج - 8 : 12 ، وفي الترجمة العربية عن السبعينية : 8 : 16 . والقمل في العبرية : כגס (كجام) ، لكن في الترجمتين الكاثوليكية والإنجيلية للعهد القديم جعلت العبارة بالعربية : البعوض . فكيف تراه يكون ذلك ؟ في العبرية عبارة أخرى مشابهة : כגסמה (كجيماه) : حشرات - هوام ، ولكن لماذا البعوض بالذات ؟

(2) سفر الخروج - 8 : 15 ، وفي الترجمتين الكاثوليكية والإنجيلية : 8 : 19 .

(3) سفر الخروج - 8 : 16 ، وفي الترجمتين الكاثوليكية والإنجيلية : 8 : 20 .

(4) العبارة في العبرية : לאב (عارب) أي : أسراب الوحوش ، أو خشرم الذباب . فالطريف أنها في الترجمتين العربيتين : الذبان ! انظر سفر الخروج - 8 : 21-25 .

وباء الماشية

لماذا سلطت عليهم هذه المهلكة ؟

بغية إظهار أن الآفات كانت موجهة ضد المصريين فحسب ، لأنه كما تُبيننا التوراه : «ومن مواشي بني إسرائيل لم يمّت واحد»⁽¹⁾ . وحتى المواشي العائدة لأي عبري في حوزة رجل مصري نجت ، وكذلك المواشي التي يشترك في ملكها مصري وإسرائيلي في آن واحد .

القروح

لماذا سلط عليهم آفة القروح ؟

لأنهم كانوا يجبرون الإسرائيليين على تنظيف دُورهم وأفئنتهم ، مما جعل دمائهم ملتأثة تُنفط بالقروح .

ولماذا كان السحرة عاجزين عن الوقوف بين يدي مُوشيه فيما يتعلق بأمر هذه القروح والالتهابات ؟

لأنهم قدّموا المشورة بالقاء كل صبي يولد لبني إسرائيل في مياه النهر .

«وقسى الرب قلب فرعون»⁽²⁾ ، إلخ ، «וחזק יהוה את לב פרעה» .

لما رأى الرب أن الآفات الخمس التي كان قد أنزلها على فرعون لم تؤدّبه إلى التوبة ، قال : «حتى لو شاء أن يتوب بعد ذلك ، فسأقسّي قلبه لكي ينال كامل جزاءه»⁽³⁾ .

(1) سفر الخروج - 9 : 6 .

(2) سفر الخروج - 9 : 12 .

(3) هذا تفسير من أجدها التلمود لما يرد في الآية 16 من الأصحاح التاسع من سفر الخروج : «غير أنني لهذا أبقى لك أريك قوتي ، ولكي يُخبر باسمي في جميع الأرض» . ويلاحظ هنا التشابه الكبير مع رواية القرآن الكريم لقصة النبي موسى عليه السلام وفرعون في سورة يونس - 92 : «فاليوم نتجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون» .

البرَد

«ها أنا مُمطرٌ غداً مثل الآن»⁽¹⁾، إلخ : הנני ממטיר כעת מחר .
جعل مُوشيه علامة على جدار بيت فرعوه ، قائلاً : «عندما تشرق الشمس
يوم غد ، سيقع البرَد في هذا الموضع ، لذا فابعث واجمع ماشيتك» ، إلخ .

مجدداً تتجلى لنا رحمة الله ، فهو حتى في أثناء غضبه لا يلبث على ميله إلى
الأخذ بأسباب الرحمة تجاه الأشرار ومواشيهم . وكان قصده من جائحة البرَد
إفناء المزروعات وليس الأرواح ، لذلك قام بتحذير الناس كيما يلجأوا بأنفسهم
ومواشيهم إلى المنازل .

«ثم قال الرب . . . مَدُّ يَدِكَ نَحْوَ السَّمَاءِ»⁽²⁾، إلخ وإمّر יהוה ... נטה
את ידך לל-השמים .

ورغم أن «السَّموات سموات للرب» ، فإن «الأرض أعطاه لبني آدام»
(المزامير - 115 : 16) .

قد يُصدر إمبراطور روما مثلاً مرسوماً يحرم فيه على الرومان زيارة سورية
ويحرم على السوريين زيارة روما ، فكذلك عندما خلق الله الكون أعلن السَّموات
سموات الرب ، ومنزلاً للربانيين الأخيار .

«أما الأرض فقد منحها لأبناء البشر» ، ولذا فالمفترض أن تكون مكان
إقامتهم . غير أن «ما شاء الله فعله فهو لا محالة كائن ، في السَّموات والأرض ،
في البحور وكل الأعماق» .

فلقد هبط إلى الأرض عند جبل سيناء ، وفي آن التكوين قال : «لتجتمع
المياه إلى موضع واحد» ، فلما رأى ذلك أنه حسن ، حوّل البحر إلى ييس ، تماماً
كما هو مكتوب : «وسار بنو إسرائيل على الييس في وسط البحر»⁽³⁾ .

(1) سفر الخروج - 9 : 18 .

(2) سفر الخروج - 9 : 22 .

(3) سفر الخروج - 14 : 19 .

فبالطريقة ذاتها أعطى الله مُوسِيه الإذن بحكم السَّموات ، وأن يمدَّ يده نحوها ، وأن يُنزل عاصفة البَرَد على أرض مصر .

ولماذا عُوقبوا بالبَرَد ؟

لأنهم أجبروا اليسرئيليين على حراثة أراضيهم ، وبذر حبوبهم ، والعناية بأشجارهم ، وتأدية جميع الأعمال الوضيعة الثانويّة في فلاحه التربة . لذلك أنزل الله عاصفة البَرَد هذه ليدمر نتاج الأرض ، بحيث لا يتمكن المصريون من جني أي نفع من الجهد القسري لشعبه . فلما رأى الله أنهم لم يكثرثوا بتحذيره ، وأهملوا إيواء مواشيمهم في الملاجئ ، سبّب موت الماشية من جرّاء العاصفة . وكانت كتل البَرَد كبيرة جداً ، كل منها بحجم رأس الطفل الرضيع ، وعندما ترتطم بالأرض كانت تتفجّر ناراً وشرراً .

الجراد

لماذا أنزل الله آفة الجراد على مصر ؟

لقد بَدَر اليسرئيليون الحقول بالحبّ ، فتمّ إنزال جائحة الجراد لتُهلك من الزرع كل ما نجا من جائحة البَرَد .

كانت هذه الجائحة شديدة جداً لإرغام فرعون على الإقرار : «لقد خطتُ إلى الربّ إلهكما بأن لم أطلق بني يسرئيل» . «واليكما (أي مُوسِيه وأهرون) ، إذ طردتكما من بيتي» .

الظلمة

«لكن لجميع بني يسرئيل كان نورٌ في مساكنهم»⁽¹⁾ .
ولكلّ بني إسرائيل «سُرورٌ في نورٍ في مساكنهم» .

(1) سفر الخروج - 10 : 23 .

فلماذا لم يُكْتَب : «كان نورٌ في أرض جُشِن ؟» .
لأنه حيثما كان اليسرئيليون كان ثمة نورٌ لهم ، ولكن للمصري وإن كان
ماكناً في حجرة واحدة مع اليسرئيلي ، كانت ظلمةً حالكة .

موت الأبيكار

«لا تعاود النظر إلى وجهي»⁽¹⁾ ، השמר לך אלתסף ראות פני .
هذه كانت كلمات قرعوه⁽²⁾ ، عندما وقف موشيه أمامه ليحذره للمرة الأخيرة
من الهلاك التازل به ، إن هو دام معارضاً خروج بني يسرئيل من أرض مصر .
فأجاب موشيه :

«نعم ما قلت . لا أعاودُ آتي إليك ، لكنك تأتي إليي ، وخدمك وأنت
ذاتك تتوسلون إلي وتركعون ، طالبين رحيلي من البلد ، فأرحل» .

ولما خشي بعض المصريين من مغبة نبوءة موشيه ، ناموا ليلتها في بيوت
اليسرئيليين . لكن ضربة الموت أدركتهم ، فكان اليسرئيلي يفيق من نومه فيلفي
المصري إلى جانبه جثة هامدة .

وكانت النكبة في أرض مصر عظيمة . فتوجه قرعوه إلى موشيه وأهرون ،
وقال لهما : «قوما !» . فأجابا : «ماذا يريد قرعوه منا ؟» ، فصاح : «قوما
الساعة فامضيا» .

فمضى اليسرئيليون من أرض مصر عشية اليوم الخامس عشر من شهر
نيسان 1310 ، وفي مثل هذه الليلة ذاتها لقي جيش سنحريب المعسكر أمام يروشلايم
الهلاك على يدي الرب . فاحتفل الملك حزقيا وسكان المدينة المحاصرة بعيد
العبور (الفصح 1310) بحسب أوامر الله ، وطفقوا يرتلون الترانيم والتهايليل
(هَلَلُويَا) لاسمه المقدس .

(1) سفر الخروج - 10 : 28 .

(2) سبق أن ذكرنا أن هذا هو وجه رسم الاسم في العبرية ، وليست المفردة مصرية بالأصل .

غير أن حزقياه كان يستولي عليه القنوط ، فقال :

«غداة غد قد تسقط المدينة» . ولكن إذا بهم عندما استيقظوا في الصباح يرون جيش الغزاة وقد تمدد جنوده صرعى في معسكرهم .

قبل إنزال البلية الأخيرة ، أُنذر الله فرعون ، كما هو مكتوب : «وأقتل كل بكر في أرض مصر»⁽¹⁾ .

فلو شاء الله أن يفعل ذلك منذ البداية ، بدلاً من أن يجعله في خاتمة البلايا ، لكان هذا في وسعه ، لكنه رغب في زيادة شدة البلايا واحدة إثر الأخرى ، ولذلك قد أنزل أذناها وطأة في البداية .

«فإن الرب يجتاز في أرض مصر فيضرب كل بكر»⁽²⁾ .

يُحكى أن ملكاً أرسل ابنه إلى بلد بعيد ، فاستقبله شعب ذلك البلد بحفاوة عظيمة ، وأحلوه مكانة سامية ، ثم جعلوه حاكماً عليهم . فلما سمع أبوه بذلك قال : «كيف أرد لهم هذا التكريم ؟ سأطلق على هذا البلد اسم ابني» .

ثم بعد مضي فترة من الوقت ، أتته الأخبار من البلد البعيد ، بأن الشعب قد خلعوا عن ابنه مكانته السامية ، وجعلوه عبداً . ولذلك شنّ عليهم الحرب وخلص ابنه .

ويوسف هبط مصرأ فجعل عليها حاكماً . وكذلك حظي يعقوب بشأن عظيم ، وعند موته «ناح عليه المصريون سبعين يوماً» .

ولذلك ، سمى الله مصر باسم جنة عدن ، كما هو مكتوب في التوراه : «كجنة الرب مثل أرض مصر»⁽³⁾ . ولكن عندما اضطهد اليسرثيليون وحولوا إلى عبيد ، شنّ الله الحرب على مصر ، عبر البلايا العشر ، ومن خلال العاشرة قام بتخليص «ابنه» يسرثيل من ريقة العبودية .

(1) سفر الخروج - 12 : 12 .

(2) سفر الخروج - 12 : 23 ، 29 .

(3) سفر التكوين - 13 : 10 .

وخلال الليل ، بينما كان العبريون يُرْتَمون التّهابيل لله ، أتى قَرْعوه إلى المكان الذي يسكن به مُوشيه وأهْرُون ، فصاح : «قُمْ فاخرج» ، إلخ . ثم انتشر الشعب ما بين المصريين ، وراحوا يطلبون على وجه العارية أواني من الذهب والفضة . أما مُوشيه فطلب ضريح يوسف واصطحب عظامه ، بحسب الوصية التي انتقلت إليه .

«وكان عند انقضاء الأربع مئة وثلاثين سنة»⁽¹⁾ ، إلخ وיהי מקץ שלשים שנה וארבע מאות שנה .

فهذه السّتون تُحسب منذ أن تجلّى الله لأبرهّام في الرّؤيا المعروفة باسم : «عهد الأشطار»⁽²⁾ ، وأخبره بأن ذريته ستكون «غُرباء في أرض ليست لهم» . لكنهم مع ذلك عاشوا بمصر مئتين وعشرة أعوام فحسب . وفي الشهر واليوم ذاتهما اللذين دخلوا فيهما مصر ، كان خروجهم . وفي ذلك التاريخ أيضاً تم إطلاق يوسف من سجنه ، وفي السنوات التالية شهد حصول معجزات عديدة لصالح شعب الله .

وفي عهد الملك حزقياه نَجَتْ يروشلأيم من غزو سَنَحْرِب ، وخلال فترة الأسر البابلي نجا من نار الأتون كل من شدرخ وميشخ وعَبْد نَجُو⁽³⁾ ، كما نجا دانييل سالماً من عرين الأسد .

* * *

(1) سفر الخروج - 12 : 41 .

(2) انظر حول هذا العهد : سفر التكوين - 15 : 13 .

(3) حول خبر ذلك انظر سفر دانييل ، الأصحاح الثالث .

obeikandi.com

الفصل الثالث موت مُوشيه

«ثم قال الرب لمُوشيه : «هوذا أيامك قد قُرِبت لكي تموت»»⁽¹⁾ . **وامر**
يهوه **الـمـشـه** **هـن** **قـرـبـو** **يـمـيـد** **لـمـوتـه** .

ترد الإشارة على موت مُوشيه في التوراه عشر مرّات :

«هوذا أيامك قد قُرِبت لكي تموت» . (تثنية الاشتراع 31 : 14) .
«ثم مُت في الجبل» . (تثنية الاشتراع 32 : 50) .
«لأنني أموت» .

«لأنني عارفٌ أنه بعد موتي» . (تثنية الاشتراع 31 : 29) .

«... فكيف بالحري بعد موتي» . (تثنية الاشتراع 31 : 27) .

«... بارك بها بني إسرائيل قبل موته» . (تثنية الاشتراع 33 : 1) .

«وكان مُوشيه ابن مئة وعشرين سنة حين مات» . (تثنية الاشتراع 34 : 7) .

«وكان بعد موت مُوشيه» . (يهوشوع 1 : 1) .

«مُوشيه عبدي قد مات» . (يهوشوع 1 : 2) .

كان مُوشيه نفسه يظن أنه ارتكب ذنباً يسيراً يُمكن الصّفح عنه⁽²⁾ ، لأن بني إسرائيل عندما أثاروا غضب الله عشر مرّات ، عُفي عنهم من خلال دعائه ، كما هو مكتوب في التوراه⁽³⁾ : «فقال الرب : «قد صفحتُ حَسَبَ قولِكَ»» . ولكنه عندما تيقن من أنه لن يُصفح عنه ، توجه إلى الله ضارعاً :

(1) سفر تثنية الاشتراع - 31 : 14 .

(2) راجع سفر الخروج - 17 : 7 ، وسفر تثنية الاشتراع - 32 : 51 ، حول معصية مُوشيه وأهرون عند ماء الخصومة (مرياه) ، بأنه صرخ إلى الرب لما خاصمه الشعب .

(3) سفر العدد : 14 : 20 .

«يا ملك السموات ، إن شقائي ونصبي من أجل مصلحة إسرائيل شعبك واضح ومعروف أمامك . وتعلم كم جهدت لحثهم على معرفة طريقك ، وعلى الإيمان باسمك القدوس وتطبيق شريعتك المقدسة . يا رب ، فكما شاطرتهم معاناتهم ونكباتهم ، هل لي أن أشاطرهم فرحهم ؟ ها هو ذا أوان انتهاء محنتهم قد حلّ ، وسيطوون أرض البركة الموعودة ، وأنت قلت لي : «لا تعبر نهر الأردن هذا» . يا إلهي الأزلي ، العظيم والعدل ، إن لم تُجز لي دخول هذه الأرض المباركة ، فاسمح لي على الأقل أن ابقى على قيد الحياة في هذه الدنيا !» .

فأجاب الله مُوشيه قائلاً : «فإن لم تُمت في هذه الدنيا ، كيف لك أن تعيش في الحياة القادمة ؟» .

فانبرى مُوشيه يقول : «إن لم تسمح لي بعبور هذا الأردن ١٦٦٦» ، فدعني أحيأ كبهائم الأرض التي تأكل من العشب وتشرب من الماء ، وتحيا وترى الدنيا . فاجعل حياتي مثلها تماماً» .

فأجاب الله : «حسبك ، لا تزدد في الكلام معي في هذا الشأن» . (سفر تثنية الاشتراع 3 : 26) .

لكن مُوشيه تضرع مجدداً يقول : «فدعني إذا أعيش كالطيور ، التي تجمع قوتها في الصباح ثم تعود في المساء إلى أعشاشها . لتكون حياتي مثلها تماماً» . فقال الله ثانية : «حسبك ، لا تزدد في الكلام معي بهذا الشأن» .

فلما أيقن مُوشيه أن أمر موته محتوم ، انبرى مُعلنًا : «هو الصخر الكامل الصنيع ، الذي كل طرقة حكمة ، إله الحق العدل المستقيم»⁽¹⁾ .

«فمات مُوشيه هناك في أرض مُواب ، بأمر الرب»⁽²⁾ .

والكتاب المقدس يشهد على تقوى مُوشيه : «ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كمُوشيه ، الذي عرفه الرب وجهاً لوجه» . (تثنية 34 : 10) .

(1) سفر تثنية الاشتراع - 32 : 4 .

(2) سفر تثنية الاشتراع - 34 : 5 .

والسّموات بكت وأعلنت : «الرّجل الصّالح رَحَل ، وليس بين النّاس مستقيم» .

ولما بحث يهوشوع عن صديقه ومعلمه فلم يجده ، انتحب بمرارة وصاح :
«أعني يا ربّ ، فالصّالح لم يعد موجوداً !» .

وأعلنت الملائكة : «لقد قضى بعدل الرّب» ، فأضاف بنو إسرائيل :
«وبأحكام الرّب ليسرّيل» . ثم أعلنوا جميعاً : «سيأتي بسلام ، وفي سريره يرقد
بأمان كل من سار في دروب صلاحه» .
فلتكن ذكرى العدل القويم مُباركة .

* * *

obeikandi.com

الفصل الرابع مَجَلَّتْ (مِيثاق) إِستير

وحدث عندما مات نبوخذناصر ܢܒܘܚܕܢܐܨܪ ، أن ابنه مروّخ الشرير طالب بحكم المملكة . لكن الشعب رفضوا تعيينه حاكماً ، قائلين : «كان أبوك فيما مضى انتزع من طائفة بني البشر وأجبر على أكل الحشائش والعُشب كبهائم الأرض لمدة سبع سنين . ولما عددناه ميتاً نصّبنا في مكانه حكاماً ليتولّوا أمورنا ، فإذا به يعود ويحكم على هؤلاء الحكّام بالموت . فكيف لنا بعد أن نصّبك ملكاً ؟ قد يكون من أمر أهلك كما كان في الأيام الخوالي ، فلعله يعود ثانية» .

فلما تكلم الشعب على هذا النحو مع مروّخ الشرير ، مضى إلى قبر أبيه وانتزع منه جثة الملك . وثبت سلسلة حديدية حول قدميه ، وسحب جثة أبيه عبر طرقات العاصمة ، ليثبت للشعب أنه قد مات حقاً . كما هو مكتوب في سفر يشعياہ : «أما أنت فطرحتَ عن قبرك كفرع رِجس» (يشعياہ - 14 : 19) .

عندها نصّب الشعب مروّخ الشرير ملكاً ، وقال دانييل للملك : «إن أباك نبوخذناصر لم يفتح أبداً باب سجنه (أي أنه عندما كان يزجّ بشخص في السجن كان حكمه عليه مؤبداً) ، كما هو مكتوب : «الذي لم يُطلق أسراه من السجن» (يشعياہ 14 : 17) . فلما أُدين بنويسرئيل من الله بذنوبهم الكثيرة التي اقترفوها ، إذا بأبيك يأتي ويوقع الخراب بأرض يسرئيل . لقد دمر هيكلنا المقدّس ، وأرسل شعبنا أسارى ومنفيين إلى بابل . فكان من بينهم يهوياكين ملك يهوداه ، الذي قبع في السجن اثنين وثلاثين عاماً لأنه تقاعس عن تنفيذ أوامر الله . فالآن إنني لأرجوك أن تطلق سراحه . لا تكُ قاسي الفؤاد ! تذكر عقاب أهلك عندما طفى وبغى ، وقال : «إنه لا ملك ولا حاكم سواي» ، كما هو مكتوب : «أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلي» . (سفر يشعياہ 14 : 14) .

فأصغى مروّذخ الشّرير⁽¹⁾ إلى كلام دانييل ونقّذ أمر الله ، فأطلق يهوياكين
הוֹיָכִין ملك سبط يهوداه ، وفتح أبواب السّجن للأسرى الآخرين ومنحهم
حرّيتهم . ونصّب يهوياكين ملكاً ، وألبسه أثواباً ملكية ، «وكان يأكل دائماً الخبز
أمامه كل أيام حياته» (سفر الملوك الثاني 25 : 29) .

وانتقلت مقاليد المملكة من مروّذخ إلى داريوش ملك مادي ، وكان ملك
فارس أحشويرُوش⁽²⁾ ابن داريوش ملك مادي . ومن بيت أحشويروش هذا
طُرِدَت وَشْتِي ابنة مروّذخ الشّرير ابن نبوخذنصر ، بسبب جورها ، لأنها أجبرت
النساء اليهوديات على العمل في يوم شَبَّات (السَّبْت) المقدّس .

وأحشويرُوش هذا هو ذاته الذي كان يأمر بتقديم النيذ الآتي من مئة وسبع
وعشرين كُورَة على مائدة طعامه ، بحيث أن أهل هذه الكُور المئة والسبع
وعشرين كانوا يشربون ، كلٌّ من نيذ بلده وكُورته ، فلا يقيرون بذلك شراباً غريباً
أو ضاراً .

وكان أحشويرُوش ملكاً مجنوناً ، فقد أمر بأن : «فلتطرد ملكتي ، أما
أوامري فلا يجوز التقاعس فيها أبداً» . وفي أيام حكم أحشويرُوش هذا تم بيع بني
يسرئيل بالفعل ، بغير قيمة مالية ، كما هو مكتوب : «مجاناً بعتهم» (سفر يشعيا
52 : 3) .

وفي أيام حكم أحشويرُوش هذا تمّت الكلمات الواردة في متن التّوراه : «في
الصّباح تقول يا ليته المساء ، وفي المساء تقول يا ليته الصّباح» (سفر تثنية الاشرع -
28 : 67) . وكان الملك أحشويرُوش هذا هو نفسه الذي صرّف امرأته من أجل
مصلحة صديقه ، ثم عاد فقتل صديقه من أجل مصلحة امرأته . فلقد طرد وشتي
امرأته تبعاً لنصيحة قدّمها له صديقه مهومان⁽³⁾ ، ثم قتل صديقه هامان لمصلحة
إستير امرأته .

(1) انظر حوله سفر يشعيا - 39 : 1 ؛ سفر يرميا - 50 : 2 .

(2) هو الإمبراطور الأخميني كِيخُسرو الأول Xerxes I (465-486 ق.م) ابن داريوس الأول
الكبير ، الذي أعاد تأسيس الإمبراطورية الأخمينية في فارس وميديا (مادي) .

(3) انظر مجلّت إستير - 1 : 10 ، من أسفار الكتوميم ، القسم الثالث من أسفار اليهود .

وحدث في أيام أَحْشَوِيرُوش هذا أنه رغب بالجلوس على عرش شلومو ، أي كرسي مُلك شلومو الرائع الذي جُلب من يروشلَايم إلى مصر على يد شاشق ملك مصر . ومن يده انتقل إلى سَنَحْرِب ملك آشور ، ثم منه عاد إلى حزقياه ، ليؤخذ مجدداً بيد القَرَعوه نخوه ملك مصر . ثم استولى عليه نبوخذناصر ملك بابل من مُلك قَرَعوه ، ولما افتتح قورُش ملك مادي بلاد فارس ، جُلب العرش إلى شوشن وآل إلى مُلك أَحْشَوِيرُوش .

لكن أَحْشَوِيرُوش أمر بصنع عرش جديد له ، فأرسل الصناع إلى مدينة الإسكندرية ، ويقوا يعملون له بعرشه مدة سنتين . «وفي السنة الثالثة من ملكه ، جلس الملك أَحْشَوِيرُوش على كرسي ملكه ، وما عاد عرش شلومو يُستعمل بعد هذا ثانية»⁽¹⁾ .

«كان رجلٌ يهودي في شوشن العاصمة⁽²⁾ اسمه مُرْدَخاي»⁽³⁾ ، אִישׁ יְהוּדִי הָיָה בְּשׁוֹשַׁן הַבִּירָה וּשְׁמוֹ מֵרְדַּכַּי .

فلماذا سُمي مُرْدَخاي باليهودي ؟ وهو ليس من سبط يهوداه ، بل من سبط بنيامين ؟ سُمي يهودياً لأنه كان ملتزماً بتقوى الرب ، شأن كل مَنْ كان من سبط يهوداه . وكان مُرْدَخاي حفيد شمعي ، الذي أبقى الملك داود على حياته عندما استجر على نفسه عقوبة الموت بشفته لقوانينه . ذلك أن داود تنبأ بالمعجزة التي ستقع من خلال مُرْدَخاي في المستقبل الذي كان آنذاك طي الغموض .

وربى مُرْدَخاي ابنة عمه هَدَسَاه أو إستير אִסְתֵּר . وكانت تُسمى «هَدَسَاه» הַדְּסָה (وهذا الاسم يعني «شجيرة الآس») ، بسبب مزاجها الرائق وطبيعتها اللطيفة ، اللذين يُشبهان بالعرف العطري والبهاء الدائم الخضرة لشجيرة الآس ، كما ورد في سفر يشعياه (55 : 13) : «عوضاً عن الشوك ينبت سرو ، وعوضاً عن القُرْاص يطلع آس» .

(1) اقتباس من مجلّت إستير - 1 : 3 .

(2) كلمة הַבִּירָה (هَبيراه) في العبرية تعني العاصمة أو القلعة ، لكن من غير الصائب ترجمتها بالقصر كما في الترجمة الإنجيلية العربية للكتاب المقدس : شوشن القصر .

(3) مجلّت إستير - 2 : 5 .

وتأويل هذه العبارة هو كما يلي : عوضاً عن هامان ، أي الشوك ، يزدهر السَّرو ، أي مُردَخاي . وعوضاً عن وَشْتي ، المُشْبَهة بالقرَّاص ، تتبوا إستير ، شُجيرة الآس ، مكانها على عرش فارس .

كذلك فإن اسمها إستير Ἰσθέρ ، قد تمَّ انتقاؤه بعناية من اللغة الإغريقية : «إستاراه»⁽¹⁾ ، وهو يعني النجم السَّاطع . وأعمالها الصَّالحة لم تنقطع طوال مدة حياتها ، أما جمالها الفتان فلم يكن يضارعه إلا محاسنها الروحية .

وقبيل ولادة إستير مات أبوها ، وسرعان ما لحقت به الأم عندما تنشقت الطفلة أنفاسها الأولى . فكان أن تبناها مُردَخاي ابن أخي أبيها ، وقام على تنشئتها كابنة له .

وبعد أن تزوج الملك إستير كان متحرِّقاً لمعرفة نَسَبها ، فسألها : «أين هم ألك ؟ ها أنا ذا مُعدَّ سماطاً فليحضروا عندي» . فأجابته إستير : «إِنَّكَ لَمَلِكٌ حَكِيمٌ ، ولا ريب أنك تعرف أن أبوي ميتان ، فأرجوك يا سيدي لا تُحزن قلبي بهذه الأسئلة» .

«ثم كان أن عمل الملك راحةً للشَّعب من دفع الضرائب السنوية ، وأعطى عطايا «تليق بمقدرته» إلى كل أعيان دولته ، مُعلنًا أنها تقدمات تُعطى على «شرف إستير» .»

وكان يتوخى من خلال ذلك أن صدى هذا الإجراء واسم إستير سيتشران عبر الأمم ، فيصل بذلك إلى معرفة شعبها» . فلمَّا أخفقت هذه الخطة ، دعى بكل العذارى الحَسَنَات المنظر من مختلف الكُور مجدِّداً ، وهو يحسب أن الغيرة قد تدفع إستير لإخباره عن أسلافها ، لكن ذلك لم يُجدِ فتيلاً . ولم تنبس إستير ببنت شفة عن حقيقة جنسها وشعبها⁽²⁾ .

(1) في اللغة اليونانية : Ἀστὴρ (أستير) أو Ἀστρο (أسترو) ، ومثلها في اللاتينية : Asteris ، والفرنسية : Astre ، والإيطالية : Stella ، والإسبانية : Astra . كذلك في الإنكليزية : Star ، والألمانية : Stern . لاحظ شبه الاسم مع «عشتار» Astartæ .

(2) سبب ذلك أن مُردَخاي كان أوصاها بالتكتم على يهوديتها ، مجلَّت إستير - 2 : 20 .

«وفي تلك الأيام ، بينما كان مُردّخاي جالساً في باب الملك ، غضب يفتان وترش»⁽¹⁾ ، إلخ .

قال الرَّابِي يُوخَنان : «يُحلّ الله الغضب في قلوب العبيد على أسيادهم لتحقيق العدل ، وكذلك يحلّ الغضب في قلوب الأسياد على عبيدهم للغاية عينها أيضاً . والمثال الأخير يتمثل في تاريخ يوسيف ، كما هو مكتوب : «وكان معنا في الحبس غلام عبري»⁽²⁾ ، أما المثال السابق فيتمثل في واقعة يفتان وترش ، حاجبي الملك .

«فعلّم الأمر عند مُردّخاي»⁽³⁾ ، ויודע הדבר למרדכי .

تكلم الحاجبان بلغة غريبة ، وهما يظنّان أن مُردّخاي لا يفهم ما يقولان . غير أن مُردّخاي كان من بعض أعضاء مجلس السنهدرين סנהדרין⁽⁴⁾ ، رجلاً متعلماً ، فكان يفهم ما يقولان تماماً .

قال أحد الحاجبين للآخر : «منذ أن تزوّج الملك إستير لم نعد ننعّم لا براحة ولا بسلام ، فقد صارت حركة الذهاب والمجيء مرهقة ، وسيكون خيراً لنا أن نقضي على حياتنا» .

فوافقه الآخر على رأيه ، لكنه أضاف : «ولكن كيف لنا أن نفعل ذلك ؟ أنا في نوبة حراسة ولا يمكنني المغادرة» . فقال الأول : «إذهب ، وأنا أقوم بأمر حراستي وحراستك معاً» .

ولذلك كُتِب في متن الكتّوبيم : «فُحص عن الأمر ووجد صحيحاً» ، أي أن أحد الحاجبين وُجد متغيّباً عن موقعه .

(1) مجلّت إستير - 2 : 21 .

(2) سفر التكوين - 41 : 12 .

(3) مجلّت إستير - 2 : 22 .

(4) السنهدرين : مجلس قوامه 71 من الحاخامات ، كان يقوم بمهمة المحكمة العليا والهيئة التشريعية ، له هيتان : السنهدرين الأكبر סנהדרין גדולה (71 عضواً) ، والسنهدرين الأصغر סנהדרין קטנה (23 عضواً) . وراجع ما كنا كتبناه عنه في المقدمة كعنصر رئيسي في الهيكلية الدينية اليهودية ، بحسب تشريع التلمود .

«بعد هذه الأمور»⁽¹⁾ ، أחר הדברים האלה . فأية أمور هي ؟

أي بعد أن خلق الله العلاج من قبل أن يوقع الجراح ، وبعد أن أنقذ مُرَدَخاي حياة الملك من قبل أن يتم إعلان الأوامر القاضية بإهلاك شعبه .

بعد هذه الأمور عظم الملك هامان ابن همداتا الأجاجي ، ورقعه إلى مرتبة سامية في المملكة . لكنه لم يُرْفَع إلا لتحلّ عليه التهلكة . وكان مصيره كمصير الخنزير في مثل الحصان والفلو والخنزير .

كان لدى رجل حصان وفلو وخنزير ، وكان يكيل للأولين مقداراً محدداً من العليق في كل يوم ، فكان ما ينالونه لا يزيد ولا ينقص ، أما الخنزير فيترك له الحبل على الغارب ليأكل كما يحلو له . فما كان من الفلو إلا أن قال للحصان : «كيف يكون ذلك ؟ أعدل ما يجري ؟ نحن نكدّ مقابل طعامنا ، بينما يتقلب هذا الخنزير العديم النفع في الموائد . يحقّ لنا أن نظفر بمقدار ما يناله هو من طعام» . قال الحصان : «رُويداً ، وسترى سبب ذلك قريباً بهلاك الخنزير» .

فلما حلّ الخريف تم ذبح الخنزير . قال الحصان : «أرأيت ؟ لم يكونوا يقدمون الطعام للخنزير ليأكل على هواه ويشبع ، بل لتسمينه وذبحه» .

كان هامان من ذرية عيسو مباشرةً ، فأبوه همداتا كان ابن سَراخ ، وهذا بدوره ابن قوزاه ، ابن إفلوتس ، ابن يوسيف ، ابن يوسيم ، ابن بيدوم ، ابن ماديه ، ابن بلاثكان ، ابن إنتروم ، ابن هريدوم ، ابن شجر ، ابن نجر ، ابن پرمشتاه ، ابن قيزتاه ، ابن أجاج ، ابن سُمكي ، ابن أمالك ، وأخيراً ابن إلفاز وهو بكر أبناء عيسو .

«لماذا تتعدى أمر الملك؟»⁽²⁾ ، مدّوع آتاه عובר آتة מצות המלך .

قال عبيد الملك الذين يباه لمُردَخاي : «لماذا ترفض الجثو لهامان ، ضارباً بأوامر الملك عرض الحائط ؟ ألسنا نجثو له ونسجد؟» .

(1) مجلّت إستير - 3 : 1 .

(2) مجلّت إستير - 3 : 3 .

أجاب مُردّخاي : «إن أنتم إلا حمقى ، أجل . . لا عقل لكم . اسمعوا لي : أيجوز تعظيم من كان فانياً ، مصيره إلى التراب ؟ أيجوز لي أن أجتولابن امرأة ، أيامه معدودة ؟ في صغره يبكي ويتحب كالطفل ، وفي شيخوخته يتملكه الأسى والتحسر ، وأيامه مُفعمة بالسخط والغضب ، وفي النهاية يكون مآله إلى التراب . أيجوز لي أن أجتولكن كان مثله ؟ لا ، بل أسجد لله الأزلي ، ذي البقاء والخلود . لكن يتوسد عروش السموات ويُمسك الدنيا في راحة كفه . بكلمته يستحيل الضياء إلى ظلمة ، وبأوامر يشع النور في أحلك الدياجير ، بحكمته خلق الدنيا ، وأرسى تخوم المحيطات ، فإليه يؤول خلق الماء ، العذب منه والمالح ، وهو يأمر الأمواج المتلاطمة بقوله : «اسكني ، لا تزيدني عن هذا الحد في الحركة ، كيما تبقى الأرض جافة لأجل شعبي» . فله وحده ، خالق الكون ومدبره ، أجتو وأسجد» .

وحقق هامان على مُردّخاي ، فقال له : «يال لك من عنيد ! أفلم يجثُ جدك لجدّي ؟» .

أجاب مُردّخاي : «وكيف ذلك ؟ مَنْ من جدودي جثا لجدك ؟» . فقال هامان : «يعقوب جدك ، جثا لأخيه عيسو ، وهو جدّي السالف» .

أجاب مُردّخاي : «لم يكن الأمر كذلك ، لأنني من نسل بنيامين ، ولما جثا يعقوب لعيسو لم يك بنيامين قد وكّد بعدُ . ولم يجثُ بنيامين لأحد حتى سجّد نسله في الهيكل المقدّس ، عندما حلّت روح الله في بواباته المطهّرة ، واتحد معه جميع بني يسرائيل . ولذا فلستُ جاثياً لهامان اللثيم» .

«في الشهر الأول ، أي شهر «نيسان» (١٥) في السنة الثانية عشرة كانوا يُلقون قُوراً 707 (أي قُرعة) أمام هامان»⁽¹⁾ . فكان يُلقى القُور «من يوم إلى يوم» . أولاً اختار اليوم الأول من الأسبوع لأجل إهلاك اليهود ، لكنه فيما بعد قال : «لا ، فالنور قد خلُق في ذلك اليوم ، وهذا قد يوافقهم . وفي اليوم الثاني خلقت جنة عدن ، مع كل الأعشاب والشجر ، وفي اليوم الرابع خلقت الشمس والقمر

(1) مجلّت إستير - 3 : 7 .

والتجوم ، وكذلك جميع جيوش السماء ، وهذا أيضاً يوافقهم . في اليوم الخامس خلقت طيور السماء ، وبينها الحمام ، الذي استخدمه اليهود قُرْباناً ، ولذا فهو لا يلائم إبادتهم . وفي اليوم السادس خلق آدم وحوّاه ، أما اليوم السابع فهو يوم «شَبَّات» (السَّبْت) المقدّس لديهم ، الذي فيه العهد بينهم وبين الله .

ثم جرّب طالعه بعد ذلك مع الشهور . ففي شهر «نيسان» (أبريل) تم إطلاقهم من عبوديتهم بمصر ، ووقعت أثناء ذلك عدّة معجزات لصالحهم . أما في شهر «إيار» ٦٢٨ (مايو) فكان نزول المَنّ للمرّة الأولى من السماء ، وفي ذلك الشهر أيضاً كانت هناك خمس آفات على وشك الوقوع . وخلال شهر «سيوان» ٢١١٢ (يونيو) تلقوا الوصايا العشر ، وعيدوا لبضعة أسابيع . فلا واحد من هذه الشهور يلائم إذاً . ثم كان أن وقعت القرعة التالية على شهر «تمّوز» ٢١١٢ (يوليو) ، غير أنه في ذلك الشهر دُمّرت أسوار يروشلأيم ، فظنّ هامان أن ذلك قد يُحتسب بمثابة الجزاء الكافي لأي من ذنوبهم في غضون هذا الشهر ، فعدل عنه وألقى القرعة ثانية . وقعت القرعة التالية على شهر «آب» ٢١٢٨ (أغسطس) ، ولكن في ذلك الشهر كان موتان الجيل الأخير من الأجيال المحكوم عليها بالتيه أربعين عاماً . كان زمن جزائهم قد انقضى عندها ، وفي ذلك الشهر ذاته كَلَّمَ مُوسِيَهُ اللهُ وَضَرَعَ إِلَيْهِ قَائِلاً : «أرني عزتك» . فلهذا هو شهر معظم ليسرئيليين ينبغي عدم اختياره لإفنائهم .

الشهر التالي كان «إيلول» ٢١٦٧ (سبتمبر) ، وفي هذا الشهر كان الصّعود الثالث لمُوسِيَهُ إِلَى جَبَلِ اللهِ ، ليتلقّى الألواح الحجرية الثانية . وكذلك خلال هذا الشهر تمت عمارة أسوار يروشلأيم ، كما هو مكتوب في سفر نحميا ٦ : 15 : «وكمل السور في الخامس والعشرين من شهر إيلول» .

أما شهر «تشري» ٢١٧٦ (أكتوبر) فلن يكون ملائماً لهذا الغرض ، لأن يوم الدّينونة حينما يخشع بنو إسرائيل جميعهم في الصّلاة يقع ضمنه . وكذلك فلا يوافق الشهر التالي «حشوان» ٢١٧٧ (نوفمبر) هذا المخطط ، لأنه فيه أُطلقت مياه الطوفان على الأرض وتمّ إنقاذ نُوحٍ وأهل بيته . وخلال شهر «كسليث» ٢١٧٧

(ديسمبر) أرسيت أسس الهيكل . وفي «طيبث» ٦٦٥ (يناير) حاصر نبوخذناصر يروشلايم ، وهذا أيضاً كان بمثابة جزاء كاف لذلك العهد . وكذلك خلال هذا الشهر أحلت الأسباط الأحد عشر السلام مع سبط بنيامين . وكذلك فشهر «شباط» ٥٦٧ (فبراير) لم يقع فيه أي ذنب يستحق سخط الله تجاه شعبه . لكنه لما أتى على شهر «آدار» ٦٦٤ (مارس) انبرى قائلاً : «ها قد نلتك الآن ، كسمكة من البحر» (حيث أن طالع كوكب الشهر تمثله سمكتان) . ففي هذا الشهر مات مؤشيه مؤدي الشريعة ، فعذه هامان شهراً رديء الطالع لبني إسرائيل . لكنه نسي أيضاً أن مؤشيه وُلد أيضاً في «آدار» ، في اليوم السابع من الشهر .

«فقال هامان للملك أحشويروش»⁽¹⁾ : «ואמר המן למלך אחשורוש

«ثمة شعب متشتت ومتفرق في بلادك ، غير أن سننهم مغايرة للأمة التي يعيشون فيها . فهم لا يختلطون بنا أو يشاركوننا حياتنا ، وهم لا يتزوجون من بناتنا ، ولا يعطون أبناءنا زوجات من بناتهم . وهم لا يسهمون في بناء الدولة ، لأن لهم أعياداً كثيرة يقعدون فيها ويتقاعسون عن الحركة . وهم يخصصون الساعة الأولى من كل يوم للصلاة : «اسمع يا إسرائيل ، الرب واحد أحد» . وفي الساعة الثانية أيضاً يرتلون الترانيم ، وكثيراً من الوقت يضيعون في الصلوات والتسابيح . وفي اليوم السابع من كل أسبوع يحتفلون بـ «يوم شبّات» ، ويمضون نهاره في كُنسهم يقرأون في توراتهم وكتب نبيهم ، وكذلك في لعنك أيها الملك . وهم يدخلون أبناءهم في عهد الجسد⁽²⁾ عندما يبلغون اليوم الثامن من العمر ، ويداومون على كونهم شعباً مختلفاً عن سواهم إلى الأبد . وفي شهر «نيسان» يحتفلون بعيد يسمونه «عيد العبور» (الفصح) ، ينبذون فيه الخميرة من بيوتهم ، وينبرون قائلين : «كما ننبذ الخميرة من بيوتنا ، لئنبذ هذا الملك اللثيم من أمامنا» . ولهم الكثير من مواسم الصوم والأعياد ، يقومون فيها جميعاً بلعنك أيها الملك ، ويدعون عليك بالموت ويسقوط مملكتك . فها قد قام مرة ما ملك ، هو نبوخذناصر ، فدمر هيكلهم وخرّب مدينتهم العظمى يروشلايم ، وساق السّكان

(1) مجلت إستير - 3 : 8 .

(2) المقصود بذلك سنة الختان ، راجع سفر الخروج - 21 : 4 .

منها إلى المنفى . ومع ذلك ، بقي غرورهم وأنفة نفوسهم على حالهما . واعلم كذلك أن أسلافهم هبطوا مصرأ ، وعدتهم سبعون رجلاً ، ولما صعدا منها كانوا يعدون ست مئة ألف بالتمام والكمال ، هذا ما خلا نساءهم وأطفالهم . وبين هذه الأمة ثمة رجال من كبار التجار ، يتعاطون البيع والشراء ، لكنهم لا يعملون سنن الملك ولا المملكة . فما الجدوى من وجود مثل هؤلاء القوم متفرقين عبر بلاد مملكتك ؟» .

وتابع هامان قائلاً : «فإن حسن في عيني الملك ، فليكتب أمراً بأن يهلكوا ويبادوا من بيننا» .

فأجاب أحشوروش : «ليس بوسعنا أن نفعل ذلك . فإلهم لم يتخل عنهم ، ولقد تغلبوا على أقوام هم أعظم منا شأنًا وأقوى يداً . لا يمكننا الأخذ بمشورتك في هذا الشأن» .

لكن هامان بقي مواظباً على الإلحاح بالشكاية على اليهود تجاه الملك ، بغيه حثه على إهلاكهم بالكلية . وأخيراً ، قال أحشوروش : «طالما أنك ألحفت عليّ إلى هذا الحدّ حول هذا الشأن ، فسأدعو وزرائي ومستشاري وحكّامائي ، وأطلب رأيهم» .

فلما استدعي هؤلاء بين يدي الملك ، طرح عليهم الأمر وسألهم : «ما هو رأيكم الآن ، أنهلك هذه الأمة أم لا ؟» .

فأجاب الحكماء بالإجماع قائلين :

«لو أن بني إسرائيل تمّ اجتثاثهم من الوجود فستزول الدنيا ذاتها بالكلية ، لأنه على فضل بني إسرائيل والشريعة المنزلة عليهم تقوم الحياة الدنيا⁽¹⁾ . أفلم يُخصّ هذا الشعب بالقربى من الله (النسابة) ؟ «لبنّي إسرائيل الشعب القريب

(1) في هذه النصوص الجدلية المصاغة بطريقة توفيقية نموذج حيّ لعملية النسيج النصّي ، لنسب القدسية والأفضلية لشعب ما دون سواه . وهذا ما نراه بحذاقيه في التراث الديني لكافة الشعوب دون استثناء ، ويسميه البعض : فنّ صناعة المقدّس . ومثل هذه النصوص من أجداه التلمود تحمل بجلاء لمسات المفسرين المضافة إلى التوراه .

إليه»⁽¹⁾ . وليس هذا فحسب ، فهم يُسمّون أيضاً أولاد الرّب كما هو مكتوب :
 «أنتم أولاد للرّب إلهكم» بنيس اتمس ليهوه املهيكم (التثنية 14 : 1) .
 فمن ذا الذي يُقلت من سخطه إن هورفع تجاه أولاده يداً ؟ لقد جُوزي قرعوه
 بسبب سلوكه ضدّهم ، فكيف لنا نحن أن ننجو من هذا الجزء ؟» .

فقام هامان وأجاب على كلامهم قائلاً :

«إن الإله الذي تسبّب بموت قرعوه وجيوشه قد شاخ ودب إليه الضعف ،
 وقواه خارت وذوّت . أولم يدمّر نبوخذناصر هيكله وساق شعبه إلى المنفى ؟
 فلماذا لم يحلّ دون ذلك إن كان على كل شيء قديراً ؟» .

وعن طريق مثل هذه المساجلات والنقاشات ، تمكّن هامان من تبديل آراء
 الحكماء ومشوراتهم ، فتمّ له كتابة المراسيم القاضية بإجراء المذبحة ، حسب ما
 أمر به .

فلما علم مُردّخاي كل ما عمّل⁽²⁾ ، شقّ ثيابه ولبس مسحاً وحثا على نفسه
 الرماد ، وناح مُرتاعاً ، وقال : «ويل لنا ، ويل لنا على هذا المرسوم الشديد .
 ولا حتى نصف شعبنا ينجو ، لا ولا ثلثه أوريه ، إنما المفروض اجتثاته بأكمله .
 ويل لنا ، ويل لنا !» .

فلما أبصر اليسرثيليون نوح مُردّخاي وسمعوا كلامه ، عقدوا اجتماعاً
 يضمّ حشداً كبيراً من الناس ، فخاطبهم مُردّخاي بما يلي :

«أنتم يا بني يسرائيل ، أيها المختارون من أيننا الذي في السموات ، أستم
 تعلمون بما قد جرى ؟ ألم تسمعوا بالمرسوم الصادر في حقنا ، بأن هامان والملك
 قد أمرا بإهلاكنا من وجه الأرض ؟ ليست لنا الآن روابط ودية نعتمد عليها ، ولا
 أنبياء يدعون لنا ، ولا مدينة نلجأ إليها . بل نحن قطع بلا راع ، ونحن كسفينة
 في البحر بلا ربّان ، وكأيتام بلا أب ، أجل ، كرُضع فقدوا أمهم» .

(1) مزامير داود - 148 : 14 .

(2) انظر مجلّت إستير - 4 : 1 . وهناك بالطبع زيادات كثيرة من أجدها التلمود على أسفار
 الكتوبيم ، لذا يحسن متابعة النص هنا على متن الأسفار اليهودية (تنخ) .

ثم حَمَلُوا تابوت العهد الذي به تُودَع صُحُف الشريعة ، في شوارع مدينة شوشن ، ووشحوه بألوان الأسي والحداد . وفتح مُرْدَخاي الصُّحُف وراح يقرأ هاتين الآيتين من سفر تثنية الاشتراع (4 : 30) : «عندما ضَيَّق عليك وأصابتك هذه الأمور كُلَّها في آخر الأيام ، ترجع إلى الرَّبِّ إلهك وتسمع لقوله (31) لأن الرَّبَّ إلهك إلهٌ رحيم» ، بazar لך ומצאוך כל הדברים האלה באחרית הימים ושבת עדיהוה אלהיך ושמעת בקלו : כי אל רחום יהוה אלהיך .

وقال مُرْدَخاي : «يا شعب بيت يسرئيل ، لنحذو حذو أهل نينوى ، عندما أرسل يوناه بن أميتاي لينادي بانقلاب عاصمتهم⁽¹⁾ . فلقد قام الملك عن عرشه ، واستبدل أثوابه الملكية بمسوح ورماد ، ونادى بصوم . ولم يذُق بشر ولا بهيمة ولا ماشية ولا قطيع طعام الزَّاد أو ينالوا شربة ماء . «فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه» (سفر يوناه 3 : 10) . فلننذر نحن أيضاً صوماً على سبيل الاستغفار ، فإذا نجا هؤلاء وهم وثنيون ، فما بالنا نحن أبناء أبرهام ، أليس حرياً بنا دون سوانا أن نتوب عن طرقنا الرديئة ونؤمن بمغفرة إلهنا الرحيم ؟ ألا تراجعوا . . تراجعوا يا آل بيت يسرئيل عن طرقكم الضالة ! فعلام تموتون؟»⁽²⁾ .

فلما أتم كلامه هذا ، خرج مُرْدَخاي إلى المدينة وصَرَخ صرخة عظيمة⁽³⁾ مرة .

فكان بيت يسرئيل مملوءاً رُعباً من أمر الملك . واجتاح الأسي عتبة دار كل يهودي ، وأناخ جو من الكدر على كل كورة .

- (1) راجع سفر يوناه من أسفار النبيين المتأخرين ، 3 : 1-4 . والنبي يوناه بن أميتاي هذا يرد اسمه في تراثنا الإسلامي : النبي يونس (كما في الإغريقية : يوناس Iovacs) ، بينما يرد في الترجمات العربية العبريتين للأسفار اليهودية : يونان . فما هي الحكمة من تصحيف اسمه ، وهو في العبرية «يوناه» : יונה בן-אמתי ؟ هذا الأمر بحاجة إلى بحث ، والسبب نراه في اشتهار الترجمة اليونانية السبعينية وحدها للتوراه إبان تنزيل القرآن الكريم .
- (2) هذا كله زيادة على متن مجلّت إستير ، من إضافات أجدها التلمود .
- (3) عودة إلى نصّ متن مجلّت إستير - 4 : 1 .

وكان أن قام أحدهم بزيارة صديق فارسي له والتمس منه أن يستخدم نفوذه لإتقاذ حياته وحياته أسرته ، قائلاً : «أنا وامراتي وأولادي نكون لك عبيداً ، لكن أنقذ حياتنا» .

فأجاب الفارسي : «وكيف لي أن أفعل ذلك ؟ إن الأمر الملكي ينصّ على أن أيّ فارسي يؤوي يهودياً سيلاقي حتفه معه» .

فرحل اليهودي بقلب كبير ، وهو يقول : «كيف تُراها ستحقق إذاً كلمات التوراه (الشريعة) القائلة : «تُبَاعُونَ هُنَاكَ لِأَعْدَائِكَ عِبِيداً وَإِمَاءً وَلَيْسَ مَنْ يَشْتَرِي» ؟» (سفر التثنية - 28 : 68) .

في كل يوم كان الشعب يحسبون مرور الوقت بقولهم : «بقي لليهود في هذه الحياة من الوقت كذا وكذا» ، وهكذا تحققت آية أخرى من التوراه : «وتكون حياتك معلقة قدامك وترتعب ليلاً ونهاراً ولا تأمن على حياتك ، وفي الصبح تقول : يا ليته المساء ، وفي المساء تقول : يا ليته الصبح ، من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ، ومن منظر عينيك الذي تنظر» (سفر التثنية - 28 : 66-67) . ومع مرور كل يوم كان النواح يتزايد والأمل يلوح ذواً أكثر فأكثر .

إن فقدنا قريباً أو صديقاً عزيزاً ، فإن أسانا يكون في بادئ الأمر شديداً ، لكنه مع مضي كل يوم يفقد وطأته إلى أن نحوز العزاء والسّلوى . لكن كم كان الأمر مغايراً في حكاية اليهود المُدانين بالموت ! ففي كل يوم كان العويل يشتدّ ، لأن كل يوم يمضي كان يقربهم من ساعة هلاكهم .

ولقد كان عمل أحشويروش بتوكيل خاتمه إلى هامان ذا مفعول أشدّ وأبلغ في إذكاء مشاعر التّوبة لدى شعب يسرائيل من كلام أنبيائهم الثمانية والأربعين . فلقد نها الأنبياء شعب يسرائيل عن عبادة الأوثان وحثّوهم على ضرورة الاستغفار لكن كلامهم مع ذلك لم يلاق أذاناً مُصغية⁽¹⁾ ، أمّا عند انتقال خاتم الملك إلى هامان ، سرعان ما خشعت الأفتدة إلى سماع نداء التّوبة المجلجل .

(1) في تاريخ اليهود القديم بأسفار التوراه والنيثيم والكتويم سلسلة متصلة من الانكفاء عن طريق العبادة ، يعقبها ظهور نبي يُنذر عذاباً وخراباً ، ويقع ذلك لتعقبه رحمة .

لكن القدر كان يبيّن لهامان جزاءً وفاقاً . وثمة قولٌ مأثورٌ للربّانيين : «إن سقط حجر على إبريق فإن الإبريق ينكسر ، وإن سقط الإبريق على الحجر فإن الإبريق ينكسر أيضاً» . في الحالين كليهما يكون مصير الإبريق الدمار ، فهذا أيضاً شأن أعداء يسرئيل ، لأنه حتى عندما يضلّ بنو يسرئيل عن جادة الصواب ، فإن من يُسخّرهم الله لعقابهم يلقون هم أيضاً جزاءً أليماً ، كما جرى في حالة نبوخذناصر و تيطس وهامان ، إلخ .

«فدخلت جوارى إستير وحجابها وأخبروها (بحزن مُردّخاي) . . . فدعت إستيرُ هتّاخ ، وأعطته وصيةً إلى مُردّخاي لتعلم ماذا ولماذا . . . فأخبره مُردّخاي بكل ما أصابه»⁽¹⁾ .

ثمة حلمٌ حلم به مُردّخاي في السنة الثانية من ولاية الملك أحشويروش ، تذكّره الآن ورواه لهتّاخ : «كان هناك زلزال هزّ الدنيا ، وظلمة وعواصف عظيمة أرعبت الكائنات . كان هناك وحشان هائلان يخوضان قتالاً مُميتاً ، فأدت جلبة الصراع إلى إصابة الأمم بالارتجاف من الرعب . وفي وسط الأمم كان ثمة شعبٌ صغير ومستضعف ، وكانت الأمم الأخرى تضمر له الشرّ وتتمنى زواله من وجه الدنيا . وحلّ يأسٌ عظيمٌ على هذا الشعب ، فصرخوا إلى الله بقوة طالبين النجدة والحماية . ثم انبجست عين ماء صغيرة ما بين الوحشين المتقاتلين ، وراح حجمها يتعاظم إلى أن لاح بكبر البحر واتساعه ، حتى بدت وكأنها ستُحقيق بالمعمورة . ثم أشرقت الشمس بنورها الوضاء على الأرض ، وإذا بالأمّة المُستضعفة تنعم بالسّلام وتقيم بأمان ، أما الأمم الأخرى العظيمة فقد تلاشت أطلالها وخرائبها حولها» .

وكان قد روى هذا الحلم من قبل لإستير ، فعاد الآن وأرسل للملكة عن طريق رسوله يقول : «دُونكِ فلنذكري الحلم الذي كنتِ رويته لك في طفولتك . فلنقومى ، ولنضرعى إلى الله وتلتمسي منه الرحمة ، ثم فلتمثلي أمام الملك وخاطبيه بجرأة في قضية شعبك وأسلافك» .

(1) مجلّت إستير - 4 : 4 - 7 .

وأرسل إلى إستير فوق ذلك يقول : « لا تخيل لك نفسك الأمور فتقولى :
«الملك اختارني ملكة له ، ولهذا لست بحاجة أن أدعو بالرحمة لبني يسرائيل» .
فإلى المنفى ستحملين كبقية الشعب ، وهذا الأمر القاضي بإهلاك البعض يقضي
أيضاً بإهلاك الجميع . لا تفتكري في نفسك أنك تنجين دون جميع اليهود .
ولتعلمي أن خطيئة جدك الأكبر شاؤول هي السبب في محنتنا اليوم . فلو كان
أطاع كلام صموئيل لما كان وكلد من ذريته هامان الشرير الذي يتبع عائلة عماليق .
ولو أن شاؤول قتل أجاج ، لما كان ابن همداتا اشترانا بعشرة آلاف طالين فضي
(وزنة) ، ولما كان الرب أسلم بني يسرائيل إلى أيدي الظالمين . لكن موشيه دعا
الرب من أجل يسرائيل ، ويهوشوع أزعج عماليق . لذا ، فقومي وادعي أمام
وجه أهلك في السموات ، فإن الله الذي أنزل حكمه العادل بعماليق سيفعل الأمر
ذاته بنسله الشرير . من الثلاثة ظالمين لبني يسرائيل ينحدر نَسَب هامان : فأولاً
عماليق ، الذي كان أول من حارب يسرائيل ، والذي لاقى الهزيمة على يدي
يهوشوع . وبعده سيرا ، الذي بسط يداً حديدية على أسلافنا ولاقى جزاءه
على يد امرأة ، هي يائيل . وأخيراً جليات ، الذي تحدى جند يسرائيل فأذله ابن
يشاي . لهذا ، لا تكفي عن الدعاء والضراعة ، إذ أن الله ما يرحم للواعج
القلب التواب ، وكرماً لأسلافنا سوف يُسقط علينا رحمته . فلقد خلصهم من
أعدائهم لما انقطعت بهم السبل . لهذا فاضرعي ، ولا تظني أنك وحدك من بين
شعبك جميعه ستؤولين إلى السلامة» .

وفي اليوم الذي أمر فيه مُردخاي إخوانه بالصوم والخضوع أمام الله ، تلا
الضراعة التالية :

«يا إلهنا وإله آبائنا ، الجالس بعرش العز ! يارب الكون ، أنت تعلم أنني
لم أكن بسبب التكبر والاستعلاء أحجمت عن الركوع أمام هامان ! إنني لا أخشى
إلا إياك ، وأغار على مجد حضرتك ، فلذا لا يجوز لي أن أقدم تشريفك لبشر
من لحم ودم ، إلى مخلوق من مخلوقاتك . يا الله ، نجتنا من يده ودع قدميه
تقعان في الأحبولة التي نصبها لنا ! ودع العالم يعرف يا مخلصنا ، بأنك لم تنس
العهد الذي يشد من أزرنا ويقوينا في شتاتنا» .

«ولكن مع ذلك أيضاً ، متى كانوا في أرض أعدائهم ما آبتهم ولا كرهتهم حتى أيدهم وأنكث ميثاقي معهم ، لأنني أنا الربّ إلههم»⁽¹⁾ .

فلما تلقت إستير رسالة مُردّخاي ، أمرت هي أيضاً بصوم ، وأبدلت حلّتها الملكية بمسوح ورماد حزن ، وطأطأت برأسها أمام الربّ ، بهذا الدّعاء المخلص : «يا إله يسرّئيل ، منذ بدء الأيام حكمت الكون ، وكل هذه الدّنيا وما فيها خلقتها يد قدرتك . فإليك تضرع أمّتك بالرجاء ! إنني وحيدة يا الله ، لا أب لي ولا أم ! وحالي كما المعوزة ، تدور بالكدية من باب إلى باب ، فها قد قصدتُ باب رحمتك ، من شبّاك إلى شبّاك في بيت أحشوروش⁽²⁾ . فمنك وحدك يُرتجى العون والخلاص . يا أب من لا أب له ، كُن إلى يمين اليتيمة ، أتوسّل إليك ، أعطها رحمةً ونعمةً في عيني أحشوروش ، لعلّه يتأثر فيعطيهما سؤلها في شأن حياة شعبها . «ليكن كلام فمي وابتهاال قلبي مقبولاً أمامك ياربّ ، يا صخرتي ومخلصي . آمين» .»

«وحدث في اليوم الثالث»⁽³⁾ ، «וַיְהִי בַיּוֹם הַשְּׁלִישִׁי . .

بعد أن كانت إستير صامت ثلاثة أيام ، قامت في اليوم الثالث من الرماد الذي أتشحت به ، وخلعت عنها مسوحها ، وتزيّت بحلّتها الملكية البهية ، مرّتية أروع حلّيها المصنوعة من الذهب والأوفير والجواهر النفيسة ، وتهيأت للمثول بين يدي الملك . غير أنها قبل ذلك ، بصوت ملؤه الأسى والجيشان ، توجهت مرّة ثانية إلى العليّ القدير خفية تدعو :

«يا إله أجدادي أبرّهام ويصحاق ويعقوب ، ويا إله بنيامين ، إليك أتوجّه وإياك أدعو ! أدعوك قبل أن أطالب زوجي أحشوروش الملك متوسّلةً من أجل شعبك بني يسرّئيل ، الذين ميّزتهم عن باقي الأمم ، والذين أعطيتهم شريعتك المقدّسة . شعبك المختار يا الله ، الذي يسبّح اسمك في كل يوم ثلاث مرّات ،

(1) تضمين من سفر اللّيوين - 26 : 44 .

(2) كان من عادة اليهود قديماً أثناء الدّعاء أن يقفوا قرب شبّاك ويتطلّعون إلى السّماء . وذلك مدوّن في سفر دانييل (6 : 11) : «وكوّاه مفتوحة في عليّته نحو يروشلايم» .

(3) مجلّت إستير - 4 : 7 .

قائلين : «قُدوس قُدوس قُدوس ربّ الجيوش ، مَجْدُهُ ملء الأرض كلّها»⁽¹⁾ ،
 قُدوس قُدوس قُدوس יהוה צבאות מלא כל־הארץ כבודו . فكما نَجَّيتَ
 حَنّياه وميشائيل وعَزَرياه من الأتون المُستعر⁽²⁾ ، ودانييل من أشداق الأسود ، نَجِّنا
 الآن من الأعداء الذين يترَبِّصون بنا لإهلاكنا . أرجوك أن تعطني نعمةً في عيني
 سيدي الملك . من خلال خطايانا يا ربّ يحقّ علينا العقاب ، أجل ، نحن من
 تسري في عروقنا دماء أبرهَام ، ولكن بما لا ريب فيه أن الأبناء ينبغي ألا يتحمّلوا
 خطايا الآباء ! فإن أثرتنا سخطك ، ما هو ذنب أصحاب الطّوايا الحسنة والصّغار
 الرّضع أن يُدانوا مثلنا بالموت ؟ أوّاه ، فلتذكر كرامة أبرهَام في شأن خلاصنا !
 عشرة مرّات عرضته أمام التجربة ، فبقي على إيمانه الحقّ بك . فلتحم أبناء
 خلصائك المحبوبين أبرهَام ويصحاق ويعقوب ، وأمِطْ عنهم الأذى الذي أحاطهم
 به هَامان» .

وانثالت إستير تبكي وتنشُج بمرارة ، وعجز لسانها عن النُّطق بالكلمات
 التي احتبست في شفقتها . فقالت في نفسها : «أمّا الآن فأذهب إلى الملك . أوّاه
 يا ربّ ، فاجعل ملائكة الرّحمة تسبق خطواتي ، واجعل بركة أبرهَام تتقدّمني ،
 وكرامة يصحاق تشدّ من عودي المرتجف . اجعل لطف يعقوب في فمي ، ونقاء
 يوسف في نطق لساني . وكما استمعتَ إلى صوت يُؤنّاه عندما ناداك ، استمع
 الآن إليّ . يا الله ، يا مَنْ تُدرك أبصاره أدنى خفايا القلوب ، اذكر كرامة الصّالحين
 الذين عبدوك بالتّقوى والإيمان ، وبشفاعتهم لا تردّ رجائي الآن خائباً . آمين» .

واصطحبت إستير معها اثنتين من خادماتها اللتين كانتا بانتظارها ، ودخلت
 بلاط الملك . وكانت تتكئ إلى ذراع الواحدة منهما ، فيما تتبعها الأخرى وهي
 تُمسك بهُدب ثوبها ، لثلاثي مسّ قماشه الموشى بالذهب أديم الأرض . وكتَمّت
 إستير حزنها في حنايا قلبها ، بينما لاح على مُحيّاها بريقٌ وضاء ، وعلى إهابها
 سيماء بهجة .

(1) سفر يشعيا - 6 : 3 .

(2) انظر خبر ذلك في سفر دانييل ، الأصحاح الثالث .

وحدث عندما أبصر الملك بها واقفة في البلاط أنه استشاط غضباً لما رآها تتجاوز الأنظمة والأعراف . فنظرت إستير ، ولحمت شرر الغضب في عينيه ، فارتاعت بشدة ، وهوت على خادمتها التي تكئى عليها . فلما رأى الله انهيارها أشفق على ما تعانیه هذه اليتيمة ، وأعطاهها نعمةً في عيني الملك . فسرعان ما زال الغضب عن محيآه ، وقام من كرسيه ، وتقدم نحو إستير واعتنقها وقبلها . طوق بذراعه عنقها ونظر إلى عينيها ، فلما أبصر فيهما الارتياح قال : « مال لك يا إستير الملكة ؟ مم تخشين ؟ أنظمتنا ليست تسري عليك ، فأنتِ محبوتي ، لم لم تتكلمي عندما وقعت عيناك عليّ ؟ » .

فأجابت إستير : « لأنني يا سيدي عندما نظرتُ إليك ، ارتعدتُ من روعة سلطانك وهيبة مُلكك » .

* * * * *

كانت لإستير ثلاث غايات من وراء دعوة هامان إلى الوليمة مع الملك :

فأولاً : لم تكن ترغب بجعل هامان يظن بأنها كانت على علم بمفسدته ، وبأنها كانت ترتبص به ، وهو ما كان سيسكّ به فيما لو علم بأن هتآخ قد سعى برسائل بينها وبين مُردخاي .

وثانياً : كانت ترغب ، في سبيل إنجاح خطتها ، بأن تشعل نار غيرة الملك من هامان . فمن حيث المنطق سيسأل نفسه لماذا تقدمت إلى دعوة هامان وحده ، مُفردة إياه عن باقي الأمراء ومُقدمة إياه عليهم .

وثالثاً : لئلا يضع بنو إسرائيل كل ثقتهم بما تفعل ، ويتكلموا كلياً عليها . والمقصد من ذلك هو إيجاد أسباب إضافية لهم ليضعوا ثقتهم كلها بالرّب وحده دون سواه .

«فقال له زيرش زوجته وكل أحبائه : «فليعملوا خشبة» ، إلخ»⁽¹⁾ .

ותאמר זרש אשתו וכל־אהביו «עשור־עץ» ..

(1) مجلّت إستير - 5 : 14 .

تقول زرش لهامان : « ليس بمقدورك أبداً الانتصار على مُردخاي بالوسائل التي تمّ تجريبها مُسبقاً ضدّ شعبه . فليس بوسعك أن تقتله بسكين أو سيف ، لأن يصحاق أنجي من مثلهما ، وليس بوسعك أن تُغرقه ، لأن مُوشيه وبني يسرئيل مشوا بأمان عبر البحر . أما النَّار فلن تحرقه ، لأنها فشلت في ذلك مع حنّياه ورفاقه ، والوحوش كذلك لن تفترسه ، حيث نجا دانييل من برائن الأسود ، ولا يمكن لزنزانه أن تحتويه ، لأن يوسف خطا إلى المجد عبر بوابة سجن . وحتى لو حرمناه حاسة البصر لا يمكننا الانتصار عليه ، لأن شمشون أعمى بصره وبرغم ذلك أهلك آلافاً من الفلسطينيين . ولم يبق أمامنا سوى وسيلة واحدة ، هي أن نشنقه» .

فحسب هذه المشورة عمل هامان المشنقة بارتفاع خمسين ذراعاً . وبعد أن فرغ من نصب آلة الموت المخيفة هذه ، قصّد مُردخاي ليتأمّل في انتصاره الوشيك عليه . فألقى اليهودي في بيت المدراش وحوله تلامذته متحلّقين ، وكانت أعطافهم متشحة بالمسوح ، وكانوا آخذين في البكاء للكلام الذي راح معلّمهم يخاطبهم به .

قال هامان : «غداً أهلك هؤلاء الأولاد أولاً ، ثم أشنق مُردخاي على المشنقة التي عملتها» . وبقي في المدرسة ورأى أمّهات التلاميذ يحضرن لهم طعامهم ، لكنهم جميعاً أحجموا عن الأكل ، وقالوا : «بِحياة معلّمنا مُردخاي ، سوف لن نذوق طعاماً أو شراباً ، بل صائمين نموت» .

«في تلك الليلة طار نوم الملك»⁽¹⁾ بلايلا الهوا ندده سנת המלד .

راح أحشويروش يتخيّل أن هامان كان عشيقاً لإستير ، لأنه وحده من بين الأمراء بأسرهم دُعي إلى وليمتها . فلماً غفا حلم بأنه يرى هامان ويده سيف مُصلت يطلب قتله ، فاستيقظ مرتعباً وعجز عن النوم من جديد . لذا فقد قام ودعا كاتبه شمشي ، الذي كان من أقارب هامان ، وأمره بفتح أخبار الأيام في فارس ومادي ، وبأن يقرأ له منه .

(1) مجلّت إستير - 6 : 1 .

وكانت أول صحيفة فتح شمشي الكتاب عندها تضم بياناً لواقعة ما أخبر به مُردخاي عن خيانة حاجبي الملك بَغْتان وتِرِش ومجرى قصتهما . فتحاشى الكاتب قراءة هذه القصة ، وكان على وشك أن يتحوّل إلى موضع آخر من الكتاب ، فلاحظ الملك فعله ، وأمره بأن يقرأ من الصحيفة التي صادف فتحها أولاً .

«قال هامان للملك : «للرجل الذي يسرّ الملك أن يكرمه فليأتوا باللباس الملكي» ، إلخ»⁽¹⁾ .

لما سمع الملك هذا الرأي من هامان استحالت شكوكه إلى يقين ، وفكّر في نفسه : «إنه يريد أن يرتدي لباسي الملكي ، ويضع تاجي على رأسه ، ثم يعمد إلى إهلاكي ويحكم بدلاً مني» .

ثم قال الملك لهامان : «أحضر من خزائني السلطانية الثوب الأرجواني المصنوع في الحبشة ، الثوب المرصع بالحجارة الكريمة ، وعلى زواياه الأربع سلسلة ذهبية ، وأحضر كذلك الحلّي التي لبستها في يوم تتويجي ، وقبعتي المصنوعة في الحبشة ، وردائي الملكي المطرز بلألئ أفرقيا . ثم اذهب إلى إصطبلاتي وخذ منها أكرم جواد لدي ، وألبس مُردخاي اليهودي الأثواب ، وأركبه الجواد» .

فأجاب هامان : «ثمة عديد من اليهود في شوشن اسمهم مُردخاي ، فأيهم ينبغي تكريمه؟» .

أجاب الملك : «ما قلتَه عمّن يُسرّني أن أكرمه ، افعله لمُردخاي اليهودي المقيم في باب الملك ، ذاك الذي تكلم بخير لصالح الملك وأنقذ حياته» .

فلما سمع هامان هذا الكلام جمد الدّم في عروق قلبه ، وبهتَ لِنون وجهه وغارت عيناه ، وعجز لسانه عن النطق ، ثم بمشقة قال : «أيها الملك ، كيف . . كيف بوسعي أعرف أي مُردخاي تقصد؟» .

أجاب الملك : «قد قلتُ لك ، المقيم في بابي» .

(1) مجلّت إستير - 6 : 7-8 .

قال هامان متعجباً : «لكنه يكرهني ، يكرهني ويكره أسلافي ، أعفني من تكريمه وأنا أدفع لخزانتك عشرة آلاف طالين فضّي» .

أجاب الملك : «حتى ولو أعطيتُ هذه العشرة آلاف طالين لمُردّخاي ، وأعطيتُهُ أيضاً بيتك ليحكم عليه ، فإن التكريم الذي تكلمتَ عنه⁽¹⁾ ينبغي لك أن تؤدّيه له» .

قال هامان متوسلاً : «أبناي العشرة يجرون قدامَ عريتك ، ويكونون لك عبيداً ، بمجرد أن تلغي هذا الأمر» .

فأجاب الملك : «حتى وإن أضحيتَ أنت وزوجتك وأبناؤك العشرة عبيداً لمُردّخاي ، فلا بدّ أن ينال هذا التكريم أيضاً» .

لكن هامان بقي مستمراً في توسّله : «ولكن مُردّخاي ليس سوى رجل بسيط من رعايا الملك ، فلتعيّنه حاكماً لمدينة أو كُورة أو محلّة ، ليكن هذا مبلغ تكريمه» .

فأجاب الملك مجدّداً : «حتى وإن عيّنته حاكماً على كُور مملكتي كلّها ، وإن أوكلتُ إليه حكم كل من يرتهن بطاعتي في البحر والبرّ ، فلا بدّ أن يؤدّي إليه أيضاً هذا التكريم الذي قلتُ به . فإن من تكلم في مصلحة ملكه ، وحافظ على حياة الملك ، لا ريب أنه مُستحقٌّ لكل ما يتعلّق بمن يُسرّ الملك أن يُكرمه» .

فتابع هامان : «ولكن ماذا عن الرّسائل التي تم توجيهها إلى كُور مملكتك كلّها ، والآمرة بإهلاكه هو وشعبه؟» .

فابتدر الملك قائلاً : «رؤيدك مهلاً ، حتى وإن تمّ تنفيذها فلا بدّ من تكريم مُردّخاي على النّحو الذي وصفت . حسبك يا هامان ولتكفّ عن النقاش ، كما تكلمتَ فافعل بالعجل ، ولا يسقط شيء من جميع ما قلتَه» .

(1) حول كلام هامان هذا راجع مجلّت إستير - 6 : 6-9 . ولمّخص ذلك أن الملك لما قرّر أن يُكرّم مُردّخاي عدوّ هامان ، سأل هامان من غير أن يُطلعه على ذلك : «ماذا يُعمل لرجل يسرّ الملك بأن يُكرمه؟» فظنّ هامان أنه هو المقصود بالتكريم ، فراح يستفيض في كلامه بما يوافق ما في نفسه ، وإذا بما يتمناه يكون من نصيب عدوّه .

فلما ألقى هامان أن كل محاولاته لم تُجد نفعاً ، أطاع أوامر الملك بقلب مرير . فقصد مُردّخاي بالأردية والجواد المُزركش ، وقال : «قُم يا مُردّخاي الصّالح ، يا سليل أبرهّام ويصحاق ويعقوب ، قُم من مُسوحك ورّمادك ! فهنا هي ذي فاقت قيمة وزناتي الفضّية كلّها ، وها هو ذا إلهك بسط رحمته عليك . قُم يا مُردّخاي وألقِ عنك مُسوحك ورّمادك ، وارتن هذه الحلال الملكيّة»⁽¹⁾ .

فَعندها أجاب مُردّخاي : «يا لهامان اللّثيم ! قد أن لك الأوان لتأكل العلقم وتشرب المرّ ، يا ابن عماليق» .

ردّ هامان : «تعال ، فارتد الثياب وامتطِ الجواد ، فأوامر الملك ينبغي أن تُطاع» .

ودَهَن هامان مُردّخاي بالأطياب النفيسة ، وزيّاه بالأردية الملكيّة ، وأركبه متن جواد الملك ، بحسب كلامه هو وأوامر أحشوروش . ثم تمّ تشكيل حاشية موكب ، فخصّص سبعة عشر ألف جندي لمرافقة مُردّخاي وقُسموا إلى كوكبتين : إحداهما تسبقه والأخرى تتبعه ، أما هو فيسير في الوسط على جواد يمسه بعنانه هامان . وفيما كانوا يعبرون بطرقات شوشن ، راح الجنود ينادون : «هكذا يُصنع للرجل الذي يُسرّ الملك بأن يُكرمه» .

فلما رأى اليهود هذا الموكب العظيم ، ومُردّخاي يكرم في وسطه ، تبعوه وراحوا يردّون على هتاف الجنود قائلين بأعلى صوت : «هكذا يُصنع للرجل الذي يعبد الملك الذي خلق السّموات والأرض ، ومَن رغب الله بتكريمه» . ولما رأت إستير قريبها متزيّياً على هذا النّحو ، شكرت الرّب وحمدته .

وقالت : «مع صاحب المزامير أقول : «المقيم المسكين من التّراب ، الرّافع البائس من المزيّلة ليُجلسه مع أشرفٍ ، مع أشرفٍ شعبه»» (113 : 7-8) .

(1) مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن عدوّ ، ومجرّد عملية فاحصة سريعة بعلم النّقد النصّي text-critique تدلّ على مدى عمق الأسلوب التوفّيقى المصنّع في هذه الحواشي الهجْدائية . وهذا الأمر إن تمّ تعميمه على باقي روايات الأسفار «المقدّسة» لخرّجنا بما هو أكثر وأهم ، ولعدنا إلى نظرية : «صناعة المقدّس» .

وكذلك حَمَدَ مُرْدَخاي الرَّبِّ فقال : «حوَلتَ تَوْحي إلى رَقص ، حَلتَ مَسحي وَمَنطقتني بالسَّرور . إِيَّاكَ أَمجد ياربِّ ، إذ رفعتني ولم تسمَح لأعدائي أن يظفروا بي» (المزامير 30 : 12) .

وقام هامان بخدمة مُرْدَخاي بأربعة صنوف من الخدمة : فأولاً ، كان له حَلِاقاً ، فقد حلق له وضمَّخه بالطيب . وثانياً ، كان له خادماً شخصياً ، فقد تولَّى خدمته في الحمام . وثالثاً ، كان له سائساً ، فقد أخذ بعنان الجواد الذي يركبه مُرْدَخاي . ورابعاً ، كان له مُنادياً ، فقد راح يهتف أمامه : «هكذا يُصنع للرجل الذي يُسرَّ الملك بأن يُكرمه» .

«وَقَصَّ هامان على زِيرش زوجته ، إلخ»⁽¹⁾ .

لم يتلقَّ هامان سوى تعزية يسيرة من خواصِّه ، وقالت زوجته : «إنك تسقط سقوطاً ، لأنَّ مَنْ حاولوا إحراق حَنثيَّاه وميشائيل وعزرياه في الأتون المُستعر هلكوا أنفسهم في اللهب ، فحذارِ إنك لساقطٌ قدام هذا اليهودي سقوطاً» .

ولما رأى عبيد الملك أن هامان راح يفقد مكانته ، بدأوا هم الآخرون ينقلبون عليه . وأخطر حربونه الملك بأن هامان بيَّت مؤامرات على حياته هو شخصياً . فقال هذا المتملِّق : «إن كنت لا تصدقني فأرسل إلى بيته ، وفيه ستعثر على مشنقة قائمة ارتفاعها خمسون ذراعاً ، نصبها لمُردَخاي ، لأنه تكلم بالخير نحوك وأنقذ حياتك» .

فقال الملك لمُردَخاي : «أذهب فأحضر عدوك هامان وعلِّقه على المشنقة ، وافعل به ما يحلوك» . فترامى هامان على مُرْدَخاي ورَجاه أن يتمَّ الإجهاز على حياته بالسيف ، غير أن مُرْدَخاي لم يُصخ إليه سمعاً . وقال هذا الأخير : «مَنْ حَقَّرَ لامرئٍ حُقرةً حَقَّ عليه أن يقع فيها . وَمَنْ دحرج حجراً على امرئٍ ، فعليه ألا يتشكَّى إن انقلب الحجر عليه فهَصَرَه»⁽²⁾ .

(1) مجلَّت إستير - 6 - 7 - 8 .

(2) من الضَّرورة بمكان متابعة هذا النَّصِّ بالقصة الأصلية في مجلَّت إستير من أسفار الكتوبيم اليهودية ، بغية ملاحظة آليَّة تطوُّر نسيج القصة واستجازة قولبتها توفيقاً .

وتم تحرير رسالة تحمل ختم الملك ، بغية إبطال الأمر الصادر مسبقاً ضد اليهود⁽¹⁾ :

«إلى كل المرازبة والولاية والأهلين في جميع بلدان مملكتنا ، سلام . إن حكومتنا لا يمكن أن تزدهر ما لم يتم توحيد شعوبها ، ولذا فنريد أن نراكم جميعاً تعيشون بوثاق أخوي . ليتعامل كل شعوب بلدان مملكتنا سواسية كأمة واحدة ، وليضمروا المودة والإحسان للأمم الأخرى والأديان الأخرى أجمع ، وليكرموا جميع ممالك الأرض المحبة للسلام . وإن من يعمد إلى تضليل الملك بإخباريات شريرة تتعلق بأي شعب من شعوبنا ، ويعمل على استصدار الإذن بإبادة أشخاص مسلمين ومطيعين للقانون ، فهو مستحق للموت ، وسيلقاه حتماً . فليهلك مثل هؤلاء ، وليعش الباقيون في وثاق تحت ميثاق سلم لا تنفصم عراه ، مضاعف المتانة لا يدب إليه وهن ولا كلال . ولا يجوزن السماح بإهانة أي شعب .

«أما إستير فهي إنسانة صالحة وعالية الشأن ، وهي ملكتنا ، ومردخاي هو أحكم أهل عصره ، بريء من الذنوب هو وشعبه على حد سواء . ومن خلال مشورة هامان ابن همّداتا ، كان صدر مرسومنا السابق ، وهو الآن لاغ ويأطل . وعلاوة على ذلك ، فنحن نرسم بأن لليهود الحق في أن يقوموا ويحموا أنفسهم ، ويثأروا لأنفسهم ممن يرفع في وجههم يداً للشر .

«إن خالق السموات والأرض قد أنزل هذه الكلمات على قلوبنا وأفواهنا ، وعلى ذلك نُصدرها ونرسم بها بحسب دساتير فارس ومادي» .

* * *

(1) قابل ذلك على الأصحاح الثامن من مجلّت إستير .

الفصل الخامس الملك شلومو الحكيم

«أرأيتَ الرجل الذي يُجدُّ في عمله ؟ إنه أمام الملوك يقف ، ولا يقف أمام
الوضيعين» (سفر الأمثال - 22 : 29) .

חזית איש מהיר במלאכתו לפני מלכים יתיצב
בליתיצב לפני חשכים:

في هذه الآية يشير شلومو لسلامة إلى نفسه . فقد بنى هيكل الرب المقدس
في سبعة أعوام ، بينما استغرق أربعة عشر عاماً في تشييد قصره . لكن هذا ليس
بسبب أن قصره كان أكثر نياقة أو أرفع شأنًا في ريازته من الهيكل ، بل لأنه كان
مُجداً أكثر في عمله على إقامة بيت الله ، بينما ترك بناء بيته لما يُتاح له من الوقت
ومن الظروف .

ثمة أربع حالات مُقارنة ما بين الآباء والأبناء يمكن تدوينها :

أولاً : رجل صالح يخلف ابناً صالحاً .

ثانياً : رجل خبيث يخلف ابناً خبيثاً .

ثالثاً : رجل خبيث يخلف ابناً صالحاً .

رابعاً : رجل صالح يخلف ابناً خبيثاً .

وحول كل من هذه النماذج بوسعنا أن نجد دليلاً من الكتاب المقدس ،
وعلى كل واحد منها يمكن أن نضع مثلاً وقصة ماثورة .

فحول الأب الصالح والابن الصالح ، نجد الآية التالية (سفر المزامير 45 :

17) : «عوضاً عن آبائك يكون بنوك» . ويمكن لنا أن نضيف مثال شجرة التين
الطيبة التي طرحت ثماراً لذيدة .

وحول الأب الخبيث والابن الخبيث لدينا في سفر العدد 32 : 14 : «فهوذا أنتم قد قُمتم عوضاً عن آبائكم تربية أناسٍ خُطاة» .

وثمة مثل قديم يقول : «الخبيث لا يخلف إلا خبيثاً» ، وكذلك تنطبق عليه القصة المأثورة عن الحية التي تلد أفعواناً .

وفي النموذج الثالث ، يخلف الأب الخبيث ابناً صالحاً ، كما هو مكتوب في الكتاب المقدس : «عوضاً عن الشوك ينبت سرو»⁽¹⁾ . وإلى ذلك يمكن أن نضيف القصة المأثورة عن الوردية التي تتفتح براعمها على شجيرة التوت البري .

وأخيراً ، الأب الصالح ذو الابن الخبيث ، كما هو مكتوب : «فِعْوَضُ الخنطة لينبت شوك» (سفر أيوب 31 : 40) . ولدينا كذلك القصة المأثورة عن شجرة الدراق البهية التي أنبتت ثماراً مرّة .

أما شلومو⁽²⁾ فكان ملكاً ابن ملك ، ابن حكيم لأب حكيم ، ولد صالح لأب صالح . وكل أحداث حياة الملك داود وجميع مزاياه ، لها ما يماثلها في حياة شلومو .

فلقد حكم داود 777 أربعين عاماً ، كما هو مكتوب : «والزّمان الذي ملك فيه داود على يسرائيل أربعون سنة»⁽³⁾ . أما عن شلومو فمكتوب : «وملك شلومو في يروشلايم على يسرائيل كلّها أربعين سنة» . وكان داود يعبر عن نفسه عن طريق «الكلام» ، كما هو مكتوب : «وهذا كان آخر كلام داود» . فكذلك كان شلومو يعبر عن نفسه بواسطة «الكلام» : «كلام قُهِلِت (الجامعة ، أي شلومو) ابن داود» (سفر الجامعة - 1 : 1) .

قال داود : «كل شيء باطل» ، كما هو مكتوب : «إنّما باطلاً يضحّون» (سفر المزامير - 39 : 7) . فاستخدم شلومو في كلامه العبارة ذاتها «الباطل» : «باطل الأباطيل ، قال قُهِلِت (الجامعة)» (سفر الجامعة - 1 : 2) .

(1) سفر يشعيا - 55 : 13 .

(2) نذكر مجدداً أننا أثّرنا رسم أسماء شخصيات التلمود بصورتها العبرية كما وردت فيه .

(3) سفر أخبار الأيام الأول - 29 : 27 .

وكتب داود أسفاراً ، هي تحديد أسفار المزامير الخمسة ، وكذلك كتب شلومو ثلاثة أسفار : سفر الأمثال ، وسفر الجامعة⁽¹⁾ ، ونشيد شلومو .

وألف داود أناشيد : «وكلم داود الرب بكلام هذا النشيد» (سفر صموئيل الثاني - 22 : 1) . فكذا ألف شلومو نشيداً كما يرد في مطلعته : «نشيد الأناشيد الذي لشلومو»⁽²⁾ .

وكان هو الملك الحكيم الذي وردت الإشارة إليه في سفر الأمثال 16 : 23 : «قلب الحكيم يُرشد فمه ويزيد شفثيه علماً» . بمعنى أن قلب الحكيم مليء بالمعرفة والفهم ، لكن ذلك كله يخرج إلى الناس عن طريق الكلام الخارج من فمه . ومن خلال نُطق شفثيه لأفكار عقله (أو قلبه) فهو يزيد في معرفة الناس . فإن كان لامرئ ما دُرر وجواهر نفيسة ، وخبأها عن الناظرين ، لما التفت أحد إلى قيمتها ، لكنه إن أظهرها للناس فإن شأنها يشتهر ، وتزداد متعة تملكه لها .

فلدى تطبيق هذا التشبيه على وضع شلومو ، نرى أن الحكمة عندما كانت حبيسة في صدره لم يدرك قيمتها أحد ، لكنه عندما قدّم للملأ كتبه الثلاثة⁽³⁾ ، أطلع الناس على قدراته العظيمة . «وكلام شفثيه يزيد في معرفة شعبه» ، وكان صيته رفيعاً إلى حد أن أيّ من واجه شكاً في تفسير فقرة توراتية كان يقصد الملك من أجل التفسير الصحيح .

ولقد رفع الملك شلومو مستوى التربية ليس على مستوى المعارف المقدسة فحسب ، فلقد تفوق ودرّس في علوم الفلسفة الطبيعية ، والجسم البشري ، وعلم النبات ، والزراعة ، والرياضيات بكافة فروعها ، وعلم الفلك ، والكيمياء ،

(1) اسم هذا السفر في الكتاب اليهودي المقدس (تنخ) : سفر قُهِلِت 165 קהלת ، تُرجم في النسخ المعربة إلى عبارة : سفر الجامعة ، وراح التراجمه يتعجبون من هوية كاتب السفر الذي يسمي نفسه «قُهِلِت بن داود» ، ويعربون عن غموض التسمية وصاحبها . قلنا : بكل بساطة ، ليس «قُهِلِت» هذا سوى لقب لشلومو بن داود نفسه ، ومعناه في العبرية : الرابطة والجامعة ، كناية تعني هنا : لسان حال الجماعة ، الناطق باسمها .

(2) هو السفر الرابع من أسفار الكتوبيم .

(3) هذا الأمر جديد على دارسي الثقافة الإسلامية ، فمن كان يدري أن للملك النبي سليمان الحكيم ابن داود عليه السلام ثلاثة كتب : الأمثال - قُهِلِت (الجامعة) - نشيد الأناشيد ؟

وبالإجمال في جميع الدراسات النافعة . ودرّس كذلك فنون البلاغة وقواعد الشعر . كما كان مُفرداً في فن النّظم اللفظي من جناس وحساب جُمَل .
 «وعدا عن كون قُهِلتُ حكيماً ، كان دائماً يعلمُ الشعب»⁽¹⁾ ، ויתר שהיה קהלת חכם עוד למודעת אותהם .

فإذا كان ما يقوله الآخرون يجتذب اهتمام الناس ، فكم كانوا بالأحرى يُنصتون لشُلمو ، وكم كانوا يستوعبون كلامه بسهولة أكبر !
 يمكن لنا أن نصور أسلوبه في التدريس بهذه التشبيه التالي : كان ثمة سلّة بغير عروتين ، مليئة بأحسن الثمار ، غير أن صاحبها ما كان قادراً على حملها إلى بيته من جرّاء تعذّر حملها ، إلى أن تقدّم رجل حكيم عندما رأى العضلة فجعل للسلّة مقبضين ، فصار يمكن حملها بسهولة بالغة . فهكذا كان شُلمو يميّط المصاعب عن طريق التلاميذ .

وكذلك قام الرّابي هُونا بتصوير الأمر بشكل آخر : «كان هناك فيما مضى بئر ماء فيه أعذب الماء وأنقاء ، غير أنه كان عميقاً للغاية بحيث أن الناس كانوا غير قادرين على بلوغ الماء ، إلى أن تقدّم رجل ذو حكمة فأخذ دلوّاً وربط به حبلاً تلو الآخر إلى أن صار الجميع بما يكفي لبلوغ الماء . فهكذا كان شأن تدريس شُلمو أيضاً . فإن التّوراه بئر للحقيقة ، غير أن تعاليمه أعمق من فهم البعض . بيد أن شُلمو راح يطرح القصص والأمثال الموافقة لاستيعاب الجميع ، ومن خلالها أمكن الحصول على معرفة يسيرة لقوانين الشريعة» .

وروى الرّابي شمعون بن حَلَفَتَا القصة الماثورة التالية : «كان لبعض الملوك وزير ، وكان الملك متعلّقاً به كثيراً ويطيّب له كثيراً أن يعامله بالتكريم . ويوماً ما قال لوزيره الأثير : «دُونَك ، فلتتمنّ أمنية ، وكل ما هو بوسعي فأنا لك بأذنه» . ففكّر هذا الوزير : «إن طلبتُ من الملك ذهباً أو فضةً أو جواهر ، أعطانيها كلّها ، وحتى إن رغبتُ بتكريم أرفع أو منصب أكثر سموّاً نلّته دونما تشريب ، لكنني أطلب منه يد ابنته ، فإن متّحني هذا السُّؤل حُزّتُ الباقي جميعه» .

(1) سفر الجامعة - 12 : 9 .

فلما تراءى الرب لشلومو في جبعون (17: 11) ، وقال له في حلمه : «اسأل ماذا أعطيك؟»⁽¹⁾ ، ففكر شلومو : «إن طلبتُ ذهباً أو فضةً أو جواهر أعطانيها الرب ، لذا سأطلب الحكمة ، فإن أوتيها حُزتُ كل شيءٍ دونها» . ولذلك أجاب : «أعطِ عبدك قلباً فهيماً» .

فَعندها قال الرب : «من أجل أنك سألتَ لنفسك حكمةً ، ولم تسأل غنىً أو سلطاناً على مُبغضيك في حياتك ، يكون لك الحكمة والمعرفة ، ومن خلالهما تحوز الغنى والسلطان»⁽²⁾ .

«فاستيقظ شلومو ، وإذا هو حلمٌ»⁽³⁾ ، «وَقَدْ سَلِمَ وَحَنَاهُ حَلُومِ . فراح يتلفت في الحقول ، فسمع أصوات البهائم : نهيق الحمار ، وزئير الأسد ، ونباح الكلب ، وصياح الديك ، فإذا به يفهم كل ما يقول واحدها للآخر .

ولو أن ثوراً ذُبِحَ وقُصِّلَ ، كان له إقامته من جديد ، بشرط ألا تكون الأوتار قد قُطعت ، لكن إن تم فصلها تلتزم الأريطة لإيثاق الجسد ببعضه . وطالما حافظ شلومو على نقائه من الذنوب كانت دعواته تُستجاب بما يحب ويرضى ، أما عندما كان يُجانب سبيل الحق ويعمل الشرّ ، فإن الرب كان يقول له : «لا أنزع عنك الملك في أيامك من أجل أبيك داود عبيدي» .

قال شلومو : «باطل الأباطيل ، الكل باطل كالظل» . ظلُّ من أي نوع ؟ إن ظل البرج أو الشجرة يمكث ظلاً لفترة من الوقت ، ثم يتلاشى ، غير أن ظلّ الطير يطير فلا يبقى طيراً ولا ظلّ⁽⁴⁾ . ولقد قال داود : «أيامنا كظلّ عابر» ، وقال الرابي هونا : «أيامنا تجوز منا بسرعة ، كظلّ طير يطير» .

(1) سفر أخبار الأيام الثاني - 1 : 7 .

(2) سفر أخبار الأيام الثاني 1 : 11-12 . «رأس الحكمة مخافة الرب» (مزامير 111 : 10) . وفي القرآن الكريم : «وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» (البقرة - 269) .

(3) سفر الملوك الأول - 3 : 15 .

(4) من يقرأ سفر الجامعة وما به من حكم وروى فلسفية ، يجد فيه انعكاساً جلياً لفكر فلسفي غنوصي . هذا الفكر نجد له مضارعاً عرفانياً فيما بعد في تراثنا الصوفي الإسلامي ، ومن الممكن عقد مقارنة في التشابه بين الأسلوب البلاغي لهذا السفر القديم ، ورائعة الإمام المتصوف محمد بن عبد الجبار النخعي : «المواقف والمخاطبات» .

وبعبارة «باطل» يعبر شلومو عن المراحل السبعة من حياة الإنسان . فالطفل يشبهه بالملك ، الذي يستقل مركبته الصغيرة ، ويتلقى من الجميع القبل والإعجاب والمدح . أما الطفل في سته الثالثة أو الرابعة فيشبهه بالخنزير ، المُغرم بالأقذار والذي يبرغ نفسه في طعامه . والولد ابن العاشرة متولع بالأردية ، أما الشاب فيتأق في شكله ويبحث عن زوجة . والرجل المتزوج كالكلب الباحث عن قوته وقوت عياله ، أما العجوز فيشبهه بالقرود .

«وأعطى الله شلومو حكمة»⁽¹⁾ ، ויתן אלהים חכמה לשלמה .

عندما كان شلومو عازماً على بناء الهيكل ، طلب إلى ملك مصر مده بالرجال لمؤازرته في العمل . فبعد أن استشار قرعوه عرفاه ، انتقى الرجال الذين يقع معاتهم في غضون السنة ذاتها . فلما بلغوا يروشلأيم ردهم الملك الحكيم على الفور ، وأرسل مع كل منهم كفنأ ، وأوصاهم أن يقولوا لسيدهم : «إن عجزت مصر عن توفير الأكفان لموتها ، وترسلهم لهذا الغرض إليّ ، فها هم أولاء ، الرجال وأكفانهم معاً ، خذهم وادفن موتاك» .

كان شلومو أكثر حكمة من كل الناس ، وأكثر حتى من آدام ذاته الذي سمى حيوانات العالم بأسره ، وحتى على نفسه أطلق اسماً قائلأ : «من تُراب الأرض اتُخذتُ ، فإذا يكون اسمي آدام □7N» . قال الرأبي تنحوم : «أين هي حكمتك وفهمك ، أيها الملك شلومو ؟ إن كلامك لا يناقض نفسه فحسب ، بل ويناقض أيضاً كلام داود أيبك» . إذ قال : «ليس الأموات يُسبّحون الرب» (المزامير - 115 : 17) ، أما أنت فقلت : «فغبطتُ أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان ، أكثر من الأحياء الذين هم عائشون بعد» (سفر الجامعة - 4 : 2) . وأنت أيضاً قلت : «فإن الكلب الحيّ خيرٌ من الأسد الميت» (سفر الجامعة - 9 : 4) .

غير أن هذه التناقضات البادية من الممكن تفسيرها يُسر ، قال داود : «ليس الأموات يُسبّحون الرب» ، بمعنى أننا علينا أن نتدارس شريعة الله إبان حياتنا ، لأن ذلك مُحال بعد انتهائها . وقال شلومو : «فغبطتُ أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ

(1) سفر الملوك الأول - 5 : 9 في التوراه المسوراتية ، وفي الترجمة السبعينية : 4 : 29 .

زمان» فعندما أذنب بنو يسرئيل في البرية ، دعا مُوشيه من أجلهم ، فلم يُستجب دعاؤه ، لكنه لما قال : «اذكر أبرهَام ويصْحاق ويسرئيل عبيدك» ، إذا به يلاقي قبولاً فورياً . ولذلك ألم يكن كلام شلومو طيباً عندما قال : «فغبطتُ أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان» ؟ فهالكٌ مثلاً آخر : قد يسنّ ملكٌ شرائع ، لكن عديداً من أتباعه قد يهملونها . وأحياناً فإن هذه الشرائع حتى وإن تمّ تطبيقها بصدق خلال حياة مَنْ سنّها ، لربّما تضحى لاغية أو تصير قديمة بعد موته . أمّا مُوشيه فقد سنّ عديداً من الشرائع الصّارمة ، التي طبّقتْ عبر الأجيال كلّها . لذلك ، أصاب شلومو عندما قال : «فغبطتُ أنا الأموات» .

ولقد شرح الرّابي يهودا ، باسم الرّاب ، هذه الآية بشكل أتمّ فقال : «ما هو معنى الآية التالية : «اصنع معي آيةً للخير فيرى ذلك مُبغضِي فيخزوا» (المزامير - 86 : 17) . وقال داود لله إثر خطيئته مع بَشَّع⁽¹⁾ : «يا مالِك الكون ، اغفر لي خطيئتي» . فأجاب الرّبّ : «قد غفرتُ لك» . ثم قال داود : «أعطني آيةً في حياتي» ، غير أن الله قال : «لا بحياتك ، بل في حياة شلومو ابنك أعطيها» . لذلك ، عندما كرّس شلومو الهيكل ، رغم أنه دعا بتقوى تامّة ، لم يُستجب له حتى قال : «أبها الرّبّ الإله ، لا تردّ وجه مسيحك ! اذكر مرّاحم داود عبدك» (سفر أخبار الأيام الثاني - 6 : 42) . وعندها ، استجيب له فوراً ، لأنه في الآية التالية نقرأ : «ولما انتهى شلومو من الصّلاة نزلت نارٌ من السّماء وأكلت المحرقة والذّبائح ، وملاً مجدُ الرّبّ البيت» . وبعد ذلك أخزي مُبغضو داود جميعهم ، بأن يسرئيل كلّها علمت بأن الله قد غفر لداود ذنبه . أو كم يتكلّم شلومو إذا بخير عندما قال : «فغبطتُ أنا الأموات» ؟ ولأجل هذا السبب ، نقرأ في تمّة الفصل : «وفي اليوم السابع والعشرين من الشهر السابع ، صرّف الشعب إلى خيامهم فرحين وطيبين القلوب ، لأجل الخير الذي عمله الرّبّ لداود وشلومو وليسرئيل شعبه»⁽²⁾ .

(1) هي بَشَّع بنت إلبعام زوجة أوريا الحثي ، التي تزوّجها الملك داود بعد أن دفع زوجها إلى الموت في الحرب ، فأنجبت له ابنه شلومو . انظر سفر صموئيل الثاني - 11 : 3 .

(2) سفر أخبار الأيام الثاني - 7 : 10 .

قال شلومو : «فإن الكلب الحيّ خيرٌ من الأسد الميت» .

في شرح هذه الآية ، قال الرّابي يهوداه باسم الرّاب : «ما هو معنى الآية : «عرّفني يا ربّ نهايتي ومقدار أيامي كم هي ، فأعرف متى أنا زائل»» (سفر المزامير - 39 : 5) .

«قال داود لله : «عرّفني يا ربّ نهايتي» ، فأجاب الله : «قد حكمتُ لكلّ امرئ بأن تكون نهايته طيّ الكتمان في مُستقبل الأيام» . فقال داود : «فما مقدار أيامي ؟» . أجب الله مجدداً : «ليس لامرئ أن يعلم مقدار أيامه» . تابع داود : «أحب أن أعرف متى أنا زائل» ، فأجاب الله : «تموت في يومِ سَبّات» .

«فتوسّل داود قائلاً : «دعني أموت في اليوم التالي» ، غير أن الله أجب : «لا ، فعندها تؤول المملكة لشلومو ، ولا ينبغي لحكم امرئ أن يأخذ من حكم امرئ آخر ولو بمقدار شعرة» . قال داود : «فدعني أموتُ إذاً في اليوم السابق ، لأن يوماً واحداً في دار الحقّ لديك خيرٌ من ألف يوم في أي مكان» ، فقال الله : «يومٌ واحدٌ ثمّضيه في دراسة شريعتي خيرٌ وأكثر قبولاً من ألف قُربان محرقة يُقدّمها شلومو ابنك» .

«كان من عادة داود أن يمضّي كل سَبّات في دراسة التّوراه (الشريعة) وتعاليمها ، فكان مُشغلاً على هذا النحو في يوم سَبّات الذي كان مُقدراً له أن يكون الأخير . وكان خلف قصر الملك بُستان ، فسمع داود جلبة فيه ، فمشى ليستبين سببها . وما كاد يلج أرض البستان حتى وقع إلى الأرض ميتاً .

«كان سبب الجلبة في البُستان هو نُباح كلاب الملك ، التي لم تنل في ذلك اليوم طعامها . فأرسل شلومو رسالة إلى مجمع الرّبانيين يقول فيها : «أبي يتمدّد ميتاً في بُستانه ، فهل يجوز رفع جُثمانه في يوم سَبّات ؟ وكلاب أبي تتوسّل طلباً لطعامها ، فهل من اللائق تقطيع اللحم لها اليوم ؟» فورد الردّ التالي من المجمع : «جُثمان أهلك لا يجوز أن يُرفع اليوم ، لكن فلتقدّم للكلاب لحمها» . فلذلك قال شلومو : «الكلب الحيّ خيرٌ من الأسد الميت» ، فشبه على وجه الصّواب ابن يشاي (داود) بملك الغاب» .

كان شلومو المنتَجَب من قِبَل الرَّبِّ ، الذي أطلق عليه ، على لسان النبي ناتان : «يديدياه» ^{١٦٦٦٦٦} (حبيب الله) . وسُمِّي «شلومو» שלמה (سَلام) لأن في أيامه عَمَّ السَّلام ، كما هو مكتوب : «وسكَّن يهوداه ويسرَّئيل آمنين» (سفر الملوك الأول - 5 : 5) ^(١) . كما سُمِّي أيضاً «إيتيئيل» איתניאל (الله معي) لأن الله كان في عونهِ .

ولما جلس شلومو على عرش أبيه داود ، خافته أمم الأرض كلها ، وأصغت أمم الأرض كلها بلهفة إلى كلامه الحكيم .

بعد ذلك ، عَمِل لشلومو عَرش خاص على يد حيرام ، وهو ابن أرملة من صيدا . كان هذا العرش مكسوًّا بذهب أوفير ، ومطعمًا بجميع أنواع الأحجار الكريمة والتفيسة . وكان يُوصل إلى كرسي العرش بست درجات عريضة . وكان يحرس الجانب الأيمن من الدرّجة الأولى ثور مصنوع من الذهب الخالص ، والجانب الأيسر أسد من المعدن الثمين ذاته . وعلى يمين الدرّجة الثانية يقوم دبّ من الذهب أيضاً ، وعلى اليسار حَمَل ، بما يرمز إلى عيش الأعداء معاً بسلام . وعلى يمين الدرّجة الثالثة وُضِع جَمَل ذهبي ، وعلى اليسار نسر . وعلى يمين الدرّجة الرابعة كان هناك أيضاً نسر ناشر جناحيه ، وعلى اليسار طائر جارح وكل ذلك من المعدن الثمين ذاته . وعلى الدرّجة الخامسة إلى جهة اليمين قطّ ذهبي يجثم في مكانه ، وإلى جهة اليسار دجاجة . وعلى يمين الدرّجة السادسة صورة لصقر ، وإلى جهة اليسار حمامة ، وعلى أعلى الدرّجة حمامة تقبض على صقر بمخالبها . ولقد تمّ تشكيل هذه الحيوانات لرمز إلى العهد الذي تتحد فيه الكائنات المتغايرة الطباع في سلام ووثام ، كما هو مكتوب في سفر يشعياهُ (11 : 6) : «فيسكن الذئب مع الخروف» .

وبأعلى العرش علّق شمعدان من الذهب ذو سبع شُعَب ، مزين بالورود والحُلّي والطاسات والملاقط ، وعلى الشُعَب السبع نُقِشت أسماء الأسلاف الكهنة السبعة : آدام ، نُوح ، شيم ، أبرهَام ، يصحاق ، يعقوب ، أيوب .

(1) هذا في النسخة المَسوراتيّة العبرانية ، أما في الترجمة السبعينية فموضعه في 4 : 25 .

وعلى النَّسَق الثاني من شُعَب الشَّمْعَدَان نُقِشَت أسماء السَّبْعَةِ الصَّالِحِينَ فِي الدُّنْيَا : لِيُوي ، قِهَات ، عَمْرَام ، مُوشِيَه ، أَهْرُون ، إِلدَاد ، مِيدَاد⁽¹⁾ . وَفَوْق ذَلِكَ كُلِّهِ إِذْنَاءٌ ذَهَبِيٌّ مَمْلُوءٌ بِزَيْتِ الزَّيْتُونِ الصَّافِي ، نُقِشَت عَلَيْهِ أَسْمَاءُ : عِيلِي لַلاّ كَاهِنِ الرَّبِّ الْأَكْبَرِ ، وَابْنِهِ حَافَنِي חַפְנִי وَفَنَحَاسִ פְּנַחֲסִ⁽²⁾ ، وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ أَسْمَاءُ ابْنِي أَهْرُون : نَادَابִב וְأَيְהוּא אֲבִיהוּא⁽³⁾ .

وَإِلَى الْجِهَةِ الْيَمْنَى مِنَ الْعَرْشِ وَضِعَ كُرْسِيَّانِ ، أَحَدُهُمَا لِكَاهِنِ الرَّبِّ الْأَكْبَرِ وَالْآخَرُ لِنَائِبِ الْكَاهِنِ الْأَكْبَرِ . وَإِلَى الْجِهَةِ الْيَسْرَى ، مِنَ الْأَعْلَى إِلَى حُدِّ الْأَرْضِ وَاحِدٌ وَسَبْعُونَ كُرْسِيًّا جُعِلَتْ مَقَاعِدُ لِأَعْضَاءِ السَّنَهْدَرِينَ .
وَلَقَدْ جُعِلَ الْعَرْشُ عَلَى دَوَالِيبَ ، بِحَيْثُ يُمْكِنُ نَقْلُهُ بِئَسْرٍ حَيْثُمَا شَاءَ لَهُ الْمَلِكُ أَنْ يَكُونَ .

وَأَعْطَى الرَّبُّ شَلُومُو الْقُدْرَةَ عَلَى فَهْمِ طَبِيعَةِ وَخَصَائِصِ الْأَعْشَابِ الْبَرِّيَّةِ وَأَشْجَارِ الْأَحْرَاجِ ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ : «وَتَكَلَّمَ عَنِ الْأَشْجَارِ ، مِنْ الْأَرْزِ الَّذِي فِي لُبْنَانَ إِلَى الزُّوْفَا النَّابِتِ فِي الْحَائِطِ . وَتَكَلَّمَ عَنِ الْبَهَائِمِ وَعَنِ الطَّيْرِ ، وَعَنِ الدَّيْسِيبِ وَعَنِ السَّمَكِ» (سَفَرُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ - 5 : 13)⁽⁴⁾ .

وَقِيلَ إِنْ شَلُومُو حَكَمَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ ، وَئُسْتَدلَّ عَلَى ذَلِكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ : «وَكَانَ شَلُومُو مُتَسَلِّطًا عَلَى جَمِيعِ الْمَمَالِكِ . . . وَكَانُوا يَقْدِمُونَ الْهَدَايَا وَيَخْدَمُونَ شَلُومُو كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهِ» (سَفَرُ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ - 5 : 1)⁽⁵⁾ .

وَرَاحَتْ جَمِيعُ الْمَمَالِكِ تَهْنِئَةً لِسَلُومُو كَخَيْرِ خَلْفٍ لِدَاوُدَ أَبِيهِ ، الَّذِي طَبَّقَتْ شَهْرَتُهُ الْأُمَّمَ ، كُلَّهَا مَا خَلَا وَاحِدَةً هِيَ مَمْلَكَةُ شِبَا ، الَّتِي عَاصِمَتُهَا قَطُورُهُ .

(1) هَذِهِ أَسْمَاءُ سَلْسَةِ نَسَبِ مُوشِيَه وَأَخِيهِ أَهْرُونِ ابْنِي عَمْرَامِ بْنِ قِهَاتِ بْنِ لِيُوي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ يَصْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ . أَمَّا إِلدَادُ وَمِيدَادُ فَهُمَا رَجُلَانِ كَانَا يَتَّبِعَانِ أَثْنَاءَ تِيهِ سِينَاءَ . انظُرْ حَوْلَ ذَلِكَ سَفَرَ الْعَدَدِ - 11 : 26 .

(2) انظُرْ سَفَرَ صَمُوئِيلِ الْأَوَّلِ - 1 : 3 .

(3) انظُرْ سَفَرَ الْخُرُوجِ - 6 : 23 .

(4) هَذَا فِي النُّسخَةِ الْمَسُورَاتِيَّةِ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ فِي السَّبْعِيَّةِ : 4 : 33 .

(5) هَذَا فِي النُّسخَةِ الْمَسُورَاتِيَّةِ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَهُوَ فِي السَّبْعِيَّةِ : 4 : 21 .

فأرسل شلومو إلى هذه المملكة رسالة يقول فيها :

«مني أنا ، شلومو الملك ، سلامٌ لك ولحكومتك . ليكن معلوماً لديك أن الله القدير قد مكنتني من حكم العالم بأسره ، بما فيه من ممالك بالشمال والجنوب والشرق والغرب . فها هم قد جاؤوني مهتئين ، كلهم ما عداك أنت .

«فأرجو منك أن تأتي أنت أيضاً ، ولتخضعي لسُلطاني فينالكَ مني تكريمٌ عظيم . لكن إن تمنعتِ تراني أفرض عليك الإقرار بسُلطاني بالقوة .

«إليك يا ملكة شيبا מלכות שביא توجه هذه الرسالة بسلام ، مني أنا الملك شلومو بن داود» .

فلما تلقت ملكة شيبا⁽¹⁾ هذه الرسالة ، أرسلت متعجلة في طلب أعيانها ومُستشاريها لطلب مشورتهم حول كيفية الردّ اللازم .

تكلّم هؤلاء بنوع من الاستخفاف حول الرسالة ومن أرسلها ، غير أن الملكة لم تكثر لكلامهم ، بل أرسلت مركباً يحمل لشلومو هدايا كثيرة تتضمن عدّة معادن ، وجواهر وأحجاراً كريمة . واستغرقت الرحلة مدّة عامين حتى وصلت هذه الهدايا إلى يروشلايم ، وذكرت الملكة في رسالة أوكلتها إلى مقدّم الركب : «بعد أن تتسلم رسالتي ، آتي إليك بنفسي» . وبعد عامين من ذلك بلغت ملكة شيبا يروشلايم .

فلما سمع شلومو بأن الملكة كانت قادمة ، أوفد بنيياهو بن يهوياهو قائد جيشه ليلاقياها . فلما رآته الملكة ظنّت أنه الملك ، فترجّلت من عربتها .

فسأل بنيياهو : «لماذا تترجّلين من عربتك ؟» ، فأجابت : «ألست صاحبة الجلالة الملك ؟» .

فقال بنيياهو : «لست سوى مقدّم من رجاله» .

(1) نعرفها في تراثنا الإسلامي ببلقيس ملكة سبأ ، واسم «بلقيس» لا يرد أصلاً في سفر الملوك ولا حتى في التلمود . وفي القرآن الكريم (النمل - 22) لا إشارة له ، بل مصدره التراث الشفاهي لقصص الأنبياء ، المستند إلى الإسرائيليات والأساطير المحليّة .

فالتفتت الملكة إلى وصيفاتها وقالت لهنّ : «إن كان هذا مجرد واحد من المقدمين ، وهو بهذه الهيئة النبيلة والفارهة ، فكم بالأحرى يكون عظيماً سيده الملك !» .

واصطحب بناياهو بن يهوياهو ملكة شبا إلى قصر الملك . وكان الملك تهيأ لاستقبال ضيفته في قاعة كانت جدرانها وأرضها منزلة بالزجاج ، فخدعت الملكة في البداية بمنظرها وتوهّمت أن الملك إنما كان جالساً في الماء⁽¹⁾ .

ثم لما اختبرت الملكة حكمة شلومو⁽²⁾ ، وخبرت عظمته ، قالت :

«لم أصدق الأخبار حتى جئتُ وأبصرت عيناى ، فهو ذا النصف لم أخبر به . طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك . ليكن مباركاً الرب إلهك ، الذي جعلك على كرسي يسرائيل لتجري حكماً ويراً»⁽³⁾ .

فلما تناهت كلمات ملكة شبا إلى أسمع الممالك الأخرى ، تعاضمت هبة شلومو في نفوس أفرادها ، وأضحى أعظم وأرفع شأناً من ملوك الأرض جميعاً بحكمته وغناه .

وكان مولد شلومو في سنة 2912 للخليفة ، وقد حكم على يسرائيل أربعين سنة . هذا ومضت ما بين عهد حكم شلومو وزمن خراب الهيكل أربع مئة وثلاث وثلاثون سنة .

* * *

(1) من المهم جداً عقد دراسة مقارنة نقدية بين التراث الروائي اليهودي (في أجداه التلمود والمدراش) ، وبين سير الأقدمين وقصص الأنبياء في تراثنا الإسلامي .
(2) امتحنته بمسائل ، كما هو مذكور في سفر الملوك الأول ، الأصحاح العاشر .
(3) انظر سفر الملوك الأول - 10 : 7 .